International Islamic
University
Islamabad – Pakistan
Faculty of Usuluddin
and Department of Seerah
History Islamic

الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد – باكستان
كلية أصول الدين
قسم السيرة والتاريخ الإسلامي

أحداث السيرة النبوية في العهد المدنى من خلال تفسير فتح القدير للشوكانى(المتوفى ١٢٥٠هـ) من السنة الخامسة إلى السنة السابعة من الهجرة(دراسة تاريخية تحليلية)

بحث تكميلي لنيل درجه الماجستير فى السيرة النبوية

إعداد الطالب :

رحمت الله

رقم التسجيل :

114-FU/MSS/S20

تحت أشراف:

الأستاذ الدكتور يوسف محمد طاهر –حفظه الله تعالى–

الأستاذ المساعد بقسم السيرة والتاريخ الإسلامى

كلية أصول الدين –الجامعة الإسلامية بإسلام آباد.

Accession No. TH-26785

K

MS
٢٩٧ ع ٤٣
ر ح أ

سيرة نبوية - بحوث
سيرة نبوية - أحداث
سيرة نبوية - عهد مدني
سيرة نبوية - هجرة
سيرة نبوية - سنة سابعة
سيرة نبوية - فتح القدير
سيرة نبوية - الشوكاني

International Islamic University Islamabad Department of Seerah &Islamic History Department Faculty of Islamic studies		الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد قسم السيرة والتاريخ كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)

CERTIFICATE FOR SUBMISSION THE THESIS

Certified that Mr.Rahmatul Allah Registration No:114-FU/MSS/S20 a student of MS Islamic Studies (Usuluddin), Department of Seerah & Islamic History, made all the corrections required by the viva voce examination committee.

He is, therefore, allowed to submit the corrected copies of his thesis to the Examina6tion Section. The title of his thesis is:

أحداث السيرة النبوية في العهد المدني من خلال تفسير فتح القدير للشوكاني (1250 هـ) من السنة الخامسة إلى السنة السابعة من الهجرة (دراسة تاريخية تحليلية)

(Dr. Yousif Mohammed Tahir)

Supervisor

Seerah & Islamic History Department

Faculty of Islamic Studies (Usuluddin)

IIUI

Dy. Director (Exams)

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فى الرفيق الأعلى،

إلى أصحابه رضى الله عنهم أجمعين،

إلى أئمة الهدى والدين رحمهم الله إلى من تبعهم إلى يوم الدين.

إلى أساتذة الكرام ، وإلى كلّ من علّمنى ولو حرفاً

إلى أمى الغالية أطال الله فى عمرها

إلى أبى الغالى أطال الله فى عمره

إلى أخواتى وأختى ،وزوجتى، وزملائى الذين شجعونى، ومدوا إلى يد العون والمساعدة، وكانوا خير عون ، وسند فى إنجاز هذه المرحلة.

الباحث: رحمت الله

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالقرآن، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد!

بعد شكرى لله عزّ وجلّ أن أعاننى على إنجاز هذا البحث المتواضع، وأتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى أستاذ الفاضل الدكتور يوسف محمد طاهر (الأستاذ بقسم السيرة والتاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين) على تفضله بقبول الأشراف على بحثى هذا، وعلى ما أسداء لى من نصائح وإرشادات كانت بمثابة النبراس المنبر فى كلّ خطواتى.

ثمّ أتقدم شكرى وتقديرى للجامعة بإسلام أباد التى أتاحت لى فرصة للدراسة العليا بها وهيأت الأسباب كثيرة لتحصيل العلم .

الباحث: رحمت الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

التعريف بالموضوع

كانت حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حياة فاضلة شريفة لم تعرف له فيها هفوة ولم تُحص عليه فيها زلّة لقد شبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوطه الله سبحانه وتعالى بعنايته ويحفظه من أقذار الجاهلية, لما يريده له من كرامته ورسالته حتى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى صار معروفا (بالأمين).

لقد نشأ سليم العقيدة، صادق الإيمان، عميق التفكير، غير خاضع لترهات الجاهلية، فما عرف عنه أنه سجد لصنم، أو تمسح به، أو ذهب إلى عرّاف أو كاهن، بل بغّضت إليه عبادة الأصنام، والتمسح بها. وكذلك بُغِّض إليه قول الشعر فلم يعرف عنه أنه قال شعرا، أو أنشأ قصيدة، أو حاول ذلك؛ لأن ذلك لا يتلاءم مع مقام النبوة، فالشعر شيء والنبوة شيء آخر. ولم يكن الشعراء بذوي الأخلاق، والسير المرضية، فلا عجب أن نزهه الله سبحانه عن الشر، والرسالة تقتضي انطلاقا في الأسلوب والتعبير، والشعر تقيد والتزام، وصدق الله حيث يقول: " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ "[1] ومع هذا فقد كان يتذوق ما في الشعر من جمال وحكمة وروعة، ويستنشده أصحابه أحياناً، ولا عجب فهو القائل: (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة).

أهمية الموضوع

إنّ السيرة النبوية المشرّفة، قدّمت نصوص الوحي بشكْل تطبيقي وواقع عملي، موضّحا بالشرح والبيان والتفصيل، وبالسلوك والتمثيل، في كلّ إطار، وفي أي مجال وحال، لذلك إنّ لدراسة السيرة

([1]) سورة يس: الآية (69)

النبوية أهمية عظيمة في مسيرة الحياة البشرية، فإذا كان العظماء والقادة دائمًا يحرصون على كتابة مذكراتهم وسيرهم الذاتية؛ حتّى يتلمّس الناس في تلك السيرة مواطن الاقتداء والاستفادة، فإن سيرة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم هي أولى السّير بالدّراسة.

أسباب إختيار الموضوع

من أسباب إختيار هذا الموضوع

1. مما لاشك فيه أن هذا الموضوع المهم فى حياتنا إن خير الكتاب كتاب الله تعالى، فيه سعادة البشرية كلها ما دامت متمسكة، وخير الهدى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قد تناولها القرآن الكريم.
2. نصيحة أستاذى –بارك الله– بالبحث فى هذا الموضوع.
3. الإستفادة من السيرة النبوية فى معرفة تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وبعض تفاصيل السنة النبوية الشريفة.
4. وتحت هذا التفسير: أى تفسير فتح القدير لم يتم العمل على هذا الموضوع من قبل.

للأسباب السابقة اخترت موضوعا مهما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحداث السيرة النبوية فى السنة الخامسة إلى السابعة من الهجرة من خلال تفسير فتح القدير للشوكانى.

الدراسات السابقة

1. أحداث السيرة النبوية في الفترة المكية من خلال تفسير عبد الرحمن السعدي بحث قدمته الطالبة/ بشرى زيب لنيل درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد.
2. أحداث السيرة النبوية في الفترة المكية من خلال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وهو بحث قدمه الطالب حافظ محمد أبوبكر بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد ، باكستان.

وموقع دراستى بين الدراسات السابقة فى أنى سأستكمل عمل ما سبقنى فى تناول السيرة النبوية من خلال كتب التفسير، وذلك بتناول الفترة المدنية من السيرة النبوية من خلال تفسير فتح القدير من السنة الخامسة إلى السنة السابعة.

مشكلة البحث

ما أهمّ الأحداث في حياة النبى صلى الله عليه وسلم من السنة الخامسة إلى السابعة فى خلال فتح القدير للشوكانى؟

ما أهمّ الغزوات والسرايا من السنة الخامسة إلى الخامسة؟

ما أهمّ التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة؟

منهج البحث

إستخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي

نموذج الدراسة :قال تعالى عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة : " وأنذر عشيرتك الأقربينْ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنينْ فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملونْ وتوكل على العزيز الرحيمْ الذي يراك حين تقومْ وتقلبك في الساجدينْ إنه هو السميع العليمْ (سورة الشعراء :214-220)

وقد فسّر الإمام الشوكاني رحمه الله هذه الآية ، وقال "وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة[1] قال: "لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وعم وخص فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا، إلا أن لكم رحما وسأبلها ببلالها".[2]

خطة البحث

- – تعريف الموضوع
- – أهمية الموضوع
- – أسباب اختيار الموضوع
- – الدراسات السابقة
- – مشكلة البحث
- – منهج البحث

التمهيد

أولا: سبب وقوع غزوة بدر

ثانيا: أحداث غزوة بدر

ثالثا: نتائج غزوة بدر

([1]) أنظر: صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٥، (192/1)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير، لمؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ: (141/4)

الفصل الأول : أحداث السيرة النبوية فى السنة الخامسة من الهجرة

المبحث الأول: أهمّ الغزوات والسرايا فى هذه السنة من خلال تفسير فتح القدير

المبحث الثاني : أهمّ أحداث السيرة النبوية فى هذه السنة

المبحث الثالث : أهمّ التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

الفصل الثاني : أحداث السيرة النبوية فى السنة السادسة من الهجرة

المبحث الأول : أهمّ الغزوات والسرايا فى هذه السنة من خلال تفسير فتح القدير

المبحث الثاني : أهمّ أحداث السيرة النبوية فى هذه السنة

المبحث الثالث : أهمّ التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

الفصل الثالث : أحداث السيرة النبوية فى السنة السابعة من الهجرة

المبحث الأول : أهمّ الغزوات والسرايا فى هذه السنة من خلال تفسير فتح القدير

المبحث الثاني : أهمّ أحداث السيرة النبوية فى هذه السنة

المبحث الثالث : أهمّ التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

الخاتمة

أولا: نتائج

ثانيا: التوصيات

التمهيد

- أولا: سبب وقوع غزوة بدر
- ثانيا: أحداث غزوة بدر
- ثالثا: نتائج غزوة بدر

التمهيد

سبب وقوع غزوة بدر[1]

ترك المسلمون مكة، وتركوا فيها أموالهم، وديارهم، ليحافظوا على دينهم، ويتحركوا به للناس في أمن واستقرار، ولم يرتض القرشيون ذلك، فاستولوا على الأموال واغتصبوا الدور، وحرموا المهاجرين من اصطحاب نسائهم، وذراريهم، ومنعوهم من دخول المسجد الحرام، وحاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعقبوه أثناء هجرته، وأخذوا يؤلبون أعراب البوادي ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن "كرز بن جابر الفهري" أغار على المدينة واستاق بعض إبلها استهانة بقوة المسلمين، وحاول القرشيون تأليب غير المسلمين من سكان المدينة فأخذ اليهود وعبدة الأصنام، والمنافقون يجاهرون بعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجد المسلمون أنفسهم أمام عداوة ظاهرة، وحرب موجهة إليهم من كل جانب، ورأوا أن قريشًا تعمل بلا كلل في تكثير أعداء الإسلام، وتوحيد أنشطتهم، وأعمالهم لمحاصرة المسلمين في المدينة، والقضاء عليهم، رأى المسلمون ذلك، فتيقنوا من ضرورة العمل لحماية دينهم، وموطنهم، وأنفسهم، وتأكدوا من أهمية التأهب، والاستعداد لمواجهة هذا الإجرام المتنامي من أعداء الله تعالى، إن للمسلمين حقوقًا تركوها في مكة، فعملوا للوصول إليها وأخذها ليفيق المكيون من غيهم، ويتعلموا أن الأمن لن يتحقق لهم إلا بأداء حقوق الآخرين، وليعرفوا أن المهاجرين ليسوا هملا لا حقوق لهم، وليسوا جماعة خائفة لا تقدر على المواجهة، وكان الله تعالى مع حق المسلمين العادل، فأمرهم بالاستعداد، والتهيؤ، للتصدي لأعدائهم، وأنزل قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}: الأنفال:60) وقوله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}: (النساء:84)

والآيات واضحة الدلالة في أن إعداد القوة، والتهيئة للقتال، وقبول التضحية، يضمن الحقوق، ويمنع الحرب؛ لأن العدو المعتدي إذا رأى أمامه قوة تخيفه، وترهبه يمسك عن الظلم، ويخشى عاقبة عدوانه

([1]) بدر: اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر، وقيل هو بدر بن قريش الذي سميت قريش به، وهي على بعد مائة ميل جنوب المدينة في طريق الذاهب إلى مكة وهي قريبة من ساحل البحر وسميت بدرًا لتمامها وكمالها. (أنظر: معجم البلدان، معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م: (357/1)

على غيره، وإعداد القوة يرهب عدو المسلمين الظاهر، وهم أهل مكة، ويرهب كذلك العدو المستتر وهم المنافقون، واليهود، ومن على شاكالتهم من الأعراب والرعاة.[1]

قال اهل السّير:وسببها أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب في عير لقريش أقبلت من الشام فجعل العيون عليها فلما جاءه عينه خرج بمن خفّ معه من المسلمين، ولم يكن يظنّ أنّه يلقى عدوّا، وكان أبو سفيان يتحسّس الأخبار خوفا من النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فجاءه الخبر بمخرجه، فبعث إلى قريش يستنفرهم، فأوعبت قريش في الخروج، وخرجت سائر بطونها التضاد في الحق والباطل الموجود بين الطرفين، فالحق الذي يملكه المسلمون وجيش محمد صلى الله عليه وسلم وحسن ظنهم بالله–عزوجل–،والباطل بيد قريش والعادات التي يتمسكون بها من زمن أجدادهم كما جاء في كتاب الله عزوجل: {إِذ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحدَى الطَّائِفَتَينِ أَنَّها لَكُم}: (الأنفال:7)، قال الإمام الشوكاني –رحمه الله تعالى– "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين هما العير والنفير"[2] فلا بدّ من المواجهة لإعلاء الحق وإزهاق الباطل.[3]

أحداث غزوة بدر

التقى الجمعان وجهًا لوجه، وفي صباح يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان في العام الثاني من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بدأ القتال وكان الجو حارًا، وكانت بدايته عدوانًا قرشيًا ضد المسلمين، فلقد جاء الأسود بن عبد الأسد المخزومي، ودنا من حوض ماء المسلمين وقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فاستقبله حمزة بن عبد المطلب، فضربه فقطع قدمه، فزحف الأسود حتى وقع في الحوض، فهدمه برجله الصحيحة، وشرب منه، وحمزة يتبعه فضربه في الحوض، فقتله[4].

([1]) أنظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م: (253–254)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (328/2)

([3]) أنظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ "بَحْرَق" (ت ٩٣٠هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول،الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ: (270)

([4]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م: (103/1)

وجاء عمير بن وهب فناوش المسلمين، فثبتوا على حقهم، ولم يزولوا، وشد عليهم عامر بن الحضرمي، ونشبت الحرب، فكان أول من خرج من المسلمين مهجع بن عائش بن عريف مولى عمر بن الخطاب، فقلته عامر بن الحضرمي، ومهجع هو أول شهيد قتل من المهاجري[1].

وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة، ويقال قتله حبان بن عرقة ويقال عمير بن الحمام قتله خالد بن الأعلم العقيلي[2].

دنا الجيشان بعضهم من بعض، وخرج عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة فتيان من الأنصار وهم، معوذ، وعوف ابنا عفراء، ثالثهم عبد الله بن رواحة، فاستحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكره أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين من الأنصار، وأحب أن تكون الشوكة بين بني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم، وقال لهم خيرًا، ثم نادى منادى المشركين: يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا، فقال صلى الله عليه وسلم: يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث نبيكم به، إذا جاءوا ببطالهم ليطفئوا نور الله، فقام علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فمشوا إليهم، وكان علي رضي الله عنه معلمًا بصوفة بيضاء، فقال عتبة لابنه: قم يا وليد، فقام فقتله علي، ثم قام عتبة فقتله حمزة، ثم قام شيبة فقام إليه عبيدة فضربه شيبة ضربة فقطع ساقة، فكر حمزة وعلي فقتلا شيبة واحتملا عبيدة إلى الصف فنزلت فيهما هذه الآية: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}[3]: (الحج:19).

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعلم، فأحنه الغداة اللهم أينا كان أحب إليك، وأرضى عندك فانصره اليوم، فأنزل الله تعالى[4]: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}: (الأنفال:19).

وبذلك حكم أبو جهل على نفسه، وأخذ أبو جهل يصيح في قومه ويقول: لنا العزى ولا عزى لكم، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله مولانا ولا مولى لكم، قتلانا في الجنة، وقتلاكم

---

(1) أنظر: الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م: (16/2)

(2) أنظر: المصدر السابق: (17/2)

(3) رواه صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م: برقم: (3747)

(4) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ – ٧٥١)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم): (215/3)

في النار، وتصور إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي يذمر المشركين، ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس، فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}: (الأنفال:48)، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظنه سراقة، فضرب صدر الحارث فسقط، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر[1].

وأقبل أبو جهل يحض المشركين على القتال بكلام كثير، ويهون عليهم ما شاهدوه من صورة سراقة بن مالك وقال لهم: يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهمنكم قتل عتبة، وشيبة، فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقيد محمدًا وأصحابه، ونربطهم بالحبال، ولا ألفين رجلا منكم قتل رجلا واحدًا منهم فقط، ولكن خذوهم أخذًا حتى نعرفهم سوء صنيعهم[2].

اتسع نطاق المعركة، وأجهد المسلمون أعداءهم، والنبي في العريش يدعو على أعداء الله، ويحرض المسلمين على القتال، يقول لهم صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة"، تعلق أمل المسلمون في معونة الله وبذلوا للنصر كل طاقتهم، وأخذوا في الاستعانة والدعاء حتى أتاهم المدد الإلهي العظيم، وعنه يقول الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}: (الأنفال:9)، وهكذا جاءت الملائكة في صورة متتابعة استجابة لاستغاثة المجاهدين في بدر.

يقول ابن إسحاق: خفق النبي صلى الله عليه وسلم خفقة في العريش فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ثنايا النقع[3].

وأخذ صلى الله عليه وسلم ينادي ربه ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض فما زال صلى الله عليه وسلم يهتف بربه، مادًا يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وأبو بكر رضي الله عنه يقول له: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك[4].

يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة قد سومت فسوموا، فأعلموا بالصوف في مغازهم وقلانسهم"، وكان أربعة يعملون في الزحوف، فكان حمزة معلمًا بريشة نعامة، وعلي معلمًا بصوفة بيضاء، والزبير

---

(1) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: (215/3)

(2) أنظر: المصدر السابق: (215/3)

(3) أنظر: المصدر السابق: (216/3)

(4) أنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢: (84/12-85)

معلمًا بعصابة صفراء، وأبو دجانة معلمًا بعصابة حمراء[1]، يقول سهيل بن عمرو: ولقد رأيت يوم بدر رجالا بيضًا، على خيل بلق، بين السماء والأرض، معلمين، يقتلون، ويأسرون، [2]ويقول أبو أسيد الساعدي، "بعد أن ذهب بصره": لو كنت معكم الآن ببدر "ومعي بصري" لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى[3]، وكان ابن عباس يحدث أن أبا رهم الغفاري قال: أقبلت أنا وابن عم لي يوم بدر حتى أصعدنا في جبل "ونحن مشركان" ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة، فننتهب مع من ينتهب "فبينا نحن في الجبل" إذ رأيت سحابة دنت منا، فسمعت فيها حمحمة الخيل وقعقعة الحديد، وسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت، وأتبعت البصر حيث تذهب السحابة، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنت أسمع، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر، ولا أحقر، ولا أدخر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رؤي يوم بدر"، قيل: وما رأى يوم بدر؟ قال صلى الله عليه وسلم: "أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة"، وقال صلى الله عليه وسلم يومئذ: "هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"[4].

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: رأيت يوم بدر رجلين، عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما وعن يساره أحدهما، يقاتلان أشد القتال، ثم يليهما ثالث من خلفه، ثم رابعهما رابع أمامه[5] وعن صهيب رضي الله عنه: ما أدرى كم يد مقطوع، أو ضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر قد رأيتها[6].

وعن أبي بردة بن نيار رضي الله عنه قال: جئت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتهن بين يدي رسول الله فقلت: يا رسول الله، أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض، طويلا، ضربه، فتدهده أمامه فأخذت رأسه.

فقال صلى الله عليه وسلم: "ذاك فلان من الملائكة".

وعن ابن عباس: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس تثبيتًا للمسلمين فيقول: إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، وذلك قول الله تعالى: {إِذْ يُوحِي

([1]) أنظر: المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩هـ: (76/1)

([2]) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: (215/3)

([3]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م: (633/1)

([4]) أنظر: المغازى للواقدى: (77/1–78)

([5]) أنظر: المصدر السابق: (78/1)

([6]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (107/1)

رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}: (الأنفال:12).

وعن حكيم بن حزام: لقد رأيتنا يوم بدر، وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق، فإذا الوادي يسيل نملا، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم فما كانت إلا الهزيمة لحقت بجيش الكفر، وما كان النمل إلا الملائكة[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنه يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: "هذا جبريل آخذ بعنان فرسه وعليه أداة الحرب"[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه فإذا به يسمع ضربة السوط، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فينظر إلى المشرك أمامه مستلقيًا وقد خطم أنفه، وشق وجهه، من ضربة السوط ويخضر ذلك الموضع أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: "صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة"[3]، وروى البيهقي عن السائب بن أبي حبيش رضي الله عنه وكان مع المشركين في بدر أنه كان يقول: والله ما أسرني أحد من الناس،فيقال له: فمن؟

فيقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض، فأوثقني رباطًا، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطًا، فنادى في العسكر: من أسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يابن أبي حبيش من أسرك"؟ فقلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، وهنا قال صلى الله عليه وسلم: "أسرك ملك من الملائكة"[4].

وروى ابن سعد وأبو الشيخ بن عطية بن قيس قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتال بدر جاء جبريل على فرس أنثى أحمر، عليه درعه، ومعه رمحه، فقال: يا محمد، إن الله بعثني إليك وأمرني ألا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟، قال صلى الله عليه وسلم: "نعم، رضيت". فانصرف[5]، وروى أبو يعلى عن جابر قال: كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته، فلما قضى صلاته قلنا يا رسول الله: رأيناك تبسمت، قال: "مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار، وهو راجع من طلب القوم، فضحك إليّ فتبسمت إليه".

---

(1) أنظر: المصدر السابق: (1/107-108)

(2) رواه صحيح البخارى: برقم: (3773)

(3) رواه صحيح مسلم فى غزوة بدر، فى باب الإمداد بالملائكة: برقم: (1763)

(4) أنظر: المغازي للواقدى: (1/79)

(5) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ط: دار صادر: (2/26)

وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟ "، قلنا: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال جبريل: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة[1].

ونهى رسول الله يومئذ عن قتل بني هاشم، فقال: "من لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله"، ونهى عن قتل العباس بن عبد المطلب، ونادى مناديه: من أسر أم حكيم بنت حزام فليخل سبيلها فإن رسول الله قد أملها وكان قد أسرها رجل من الأنصار، وكتفها بذؤابتها فلما سمع المنادى خلى سبيلها، ونهى صلى الله عليه وسلم أيضًا عن قتل أبي البختري فقتله أبو داود المازني، ويقال قتله المجذر بن زياد، ونهى عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل فقتله خبيب بن يساف ولا يعرفه[2]، ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجذع ولا يعرفه[3]، ولما التحم القتال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعًا يديه يسأل الله النصر، وما وعده، وأمر صلى الله عليه وسلم فأخذ من الحصا كفًا فرماهم بها وقال: "شاهت الوجوه، اللهم أرعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم"، فانهزم أعداء الله لا يلوون على شيء، وألقوا دروعهم، والمسلمون يقتلون، ويأسرون، وما بقي منهم أحد إلا امتلأ وجهه وعيناه، وما يدري أين يتوجه والملائكة يقتلونهم وذلك قوله تعالى[4]: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}: (الأنفال: 17)، وجمح بعقبة بن أبي معيط فرسه، فأخذه عبد الله بن سلمه العجلاني، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فضرب عنقه صبرًا، وصدق الله رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله لعقبة: "إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبرًا"[5]، وبينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يجمع أدرعًا، بعد أن ولى الناس، إذا هو بأمية ابن خلف، وابنه علي، فأخذ يسوقهما أمامه فأبصره بلال فنادى: يا معشر الأنصار، أمية بن خلف رأس الكفر، لا نجوت إن نجا! فأقبلوا حتى طرح أمية على ظهره، وقطع الحباب بن المنذر أرنبة أنفه، وضربه خبيب بن يساف حتى قتله[6]

وقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه علي بن أمية بن خلف.

وقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه عبيدة بن سعيد بن العاص.

وقتل أبو دجانة رضي الله عنه عاصم بن أبي عوف بن ضبيرة السهمي.

([1]) أنظر: صحيح البخارى: برقم: (3771)

([2]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (108/1)

([3]) وسبب قتل من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلهم عدم وصول النهي إلى الصحابي القاتل، أو أنه لم يعرض الشخص الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم "عن قتله: (المصدر السابق: (108/1)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (108/1)، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني: (278)

([5]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (109/1)

([6]) أنظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني: (279)، و إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (109/1)

وقتل علي رضي الله عنه عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، وحرملة بن عمرو وهو يراهما أبا جهل.
وقتل حمزة رضي الله عنه أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، وهو يراه أبا جهل.
وكان أبو جهل في مثل الحرجة "هي الشجر الملتف" والمشركون يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فصمد معاذ بن الجموح إلى أبي جهل فضربه ضربة، وطرح رجله من الساق، فأقبل عليه عكرمة بن أبي جهل فضربه على عاتقه فطرح يده من العاتق، وبقيت الجلدة، فوضع معاذ عليها رجله، وتمطى بها عليها حتى قطعها، وضربه مع معاذ، معوذ وعوف ابنا عفراء فنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذًا سيف أبي جهل ودرعه وأخذ المسلمون يجمعون الغنائم والأموال، ويأخذون الأسرى، فرحين بنصر الله تعالى[1].

لم تغرب شمس يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من العام الثاني للهجرة إلا وقد تم النصر لجند الله في بدر، وتأكد المسلمون المجاهدون من نصر الله تعالى، بعدما رأوا الملائكة تنزل عليهم في صورة بشرية، معونة، وتثبيتًا، وأسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة لكفار مكة، وانتصار كبير للمسلمين، وكان لهذا النصر صدى واسع في الجزيرة العربية كلها، وقد لقي سبعون من صناديد مكة مصرعهم في بدر، وعلى رأسهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وحنظلة بن أبي سفيان، وعبيدة والعاص ابنا سعيد بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، وغيرهم من القادة والزعماء كما أسر منهم سبعون آخرون[2]، وفر الباقون إلى مكة تاركين وراءهم الأموال وكثيرًا من الإبل، والخيل التي كانت في صحبتهم.
وقد حفر المسلمون قليبًا، دفنوا فيه قتلى المشركين، بعدما أمرهم صلى الله عليه وسلم بإلقائهم فيه دفعة واحدة.
ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا مر بجيفة إنسان أمر بدفنه، لا يسأل عنه، مؤمنًا كان أو كافرًا، احترامًا لإنسانيته، وإلقاء القتلى في القليب من هذا الباب، إلا أنه صلى الله عليه وسلم كره أن يشق على أصحابه بكثرة جيف الكفار أن يأمر بدفنهم، واحدًا، واحدًا، فرأى أن دحرجتهم إلى القليب جملة أيسر عليهم وعلى المسلمين فأمر به، وبخاصة أن نتن الجيف قد انتشرت لبقائها في العراء مدة ليست قليلة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإلقاء القتلى جميعًا في القليب بأجسادهم، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا ليحركوه، فتزايل جسده وتقطع، فأهالوا عليه التراب حيث هو، ووقف الرسول على القليب ثم قال: "يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا؟ بئس القوم كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني

([1]) أنظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني: (279)

([2]) أنظر : صحيح البخارى، ط:السلطانية: برقم: (3986)، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني: (280)

ونصرني الناس"، قال المسلمون: يا رسول الله تنادي قومًا قد ماتوا؟ قال صلى الله عليه وسلم: "قد علموا أن ما وعدهم ربهم حق"[1]

وقال السدي عن مقسم عن ابن عباس: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى بدر فقال: "جزاكم الله عني من عصابة شرًا فقد خونتموني أمينًا، وكذبتموني صادقًا"، ثم التفت إلى أبي جهل فقال: "هذا أعتى على الله من فرعون، إن فرعون لما أيقن بالهلكة وحد الله، وإن هذا لما أيقن بالهلكة دعا باللات والعزى".[2]

نتائج غزوة بدر

بالنسبة للمسلمين فإنّهم حقّقوا انتصاراً في معركة بدر، حيث قويت شوكتهم، وأصبح للدولة الإسلاميّة هيبتها وقوّتها بين القبائل العربيّة الأخرى، كما أنّهم انتعشوا اقتصادياً ومادياً بسبب ما غنموه من أموال وغنائم في المعركة بعد فقر شديد، وقد استشهد فيها أربعة عشر رجلاً، ثمانية منهم من المهاجرين وستّة من الأنصار، أمّا بالنسبة لقريش، فقد كانت خسارتهم كبيرة؛ حيث قتل فيها عدد من زعماء قريش الكبار أمثال أبي جهل وأميّة بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وكان عدد القتلى منهم سبعين رجلاً، وأُسر منهم سبعون آخرون[3]، وكان الرسول–عليه الصلاة والسلام– أمر بفداء الأسرى بدفع الفدية الماليّة، أو بتعليم عشرة من المسليمن القراءة والكتابة، وقد عفا عمّن ليس لديه مال، ولا يعرف أن يكتب ويقرأ، كما خسر المشركون غنائم ومعدّات في المعركة.

---

(1) أنظر: صحيح البخارى، ط:السلطانية: برقم: (3976)، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني: (281)

(2) أنظر: المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية: برقم: (12067)

(3) رواه صحيح البخارى، ط:السلطانية: برقم: (3986)

الفصل الأول

أحداث السيرة النبوية فى السنة الخامسة من الهجرة

- **المبحث الأول**

أهم الغزوات والسرايا فى السنة الخامسة من الهجرة من خلال تفسير فتح القديرللشوكانى

- **المبحث الثانى**

أهم أحداث السيرة النبوية فى السنة الخامسة من الهجرة

- **المبحث الثالث**

أهم التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

المبحث الأول

أهم الغزوات والسرايا فى السنة الخامسة من الهجرة من خلال تفسير فتح القدير للشوكانى

- المطلب الأول : غزوة بنى المصطلق
- المطلب الثانى : غزوة الأحزاب
- المطلب الثالث : غزوة بنى قريظة
- المطلب الرابع : سرية عبدالله بن عتيك لقتل سلام بن أبى الحقيق

المطلب الأول

غزوة بنى المصطلق

بنو المصطلق: هم بطن [1] من خزاعة ، والمصطلق [2] جدهم، وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء ، واختلفوا فى خزاعة [3]، فمهنم من قال : إنها قبيلة عدنانية ، ومنهم من ذهب إلى أنها قبيلة قحطانية يمنية، والراجح ما ذهب إليه أكثر العلماء ، من أنها قبيلة قحطانية يمنية.[4]

ما وردت فى القرآن الكريم من آيات عن غزوة بنى المصطلق وتفسير الشوكانى له

قال الله تعالى :

{وإذا قيل لهم تعالوا يستغفرلكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون.}: (المنافقون:5)

قال الشوكانى رحمه الله إذا قال لهم القائل من المؤمنين، قد نزل فيكم ما نزل من القرآن فتوبوا إلى الله ورسوله وتعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم أي، حركوها استهزاء بذلك، قال مقاتل :

---

(1) أى : فرع.

(2) المصطلق- بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام بعدها قاف- مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت، وهو لقب واسمه جذيمة- بجيم فذال معجمتين مفتوحة فتحتية ساكنة- ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة : بطن من بني خزاعة.

(3) هو من التخزع وهو التأخر والمفارقة، وذلك أن خزاعة انخزعت من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلت خزاعة بمر الظهران،وأقامت بها.(أنظر: مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، لإبراهيم بن إبراهيم قريب، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: ص 47)

(4) أنظر: المصدر السابق:(46-47)

عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار، قرأ الجمهور "لووا" بالتشديد، وقرأ نافع بالتخفيف واختار القراءة الأولى أبو عبيد ورأيتهم يصدون أي، يعرضون عن قول من قال لهم، تعالوا يستغفر لكم رسول الله أو يعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملة : وهم مستكبرون في محل نصب على الحال من فاعل الحال الأولى ويه يصدون لأن الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى: ورأيتهم صادين مستكبرين سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم أي، الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر، قرأ الجمهور : "أستغفرت" بهمزة مفتوحة من غير مد ، وحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها ، وقرأ يزيد بن القعقاع بهمزة ثم ألف لن يغفر الله لهم أي : ما داموا على النفاق إن الله لا يهدي القوم الفاسقين أي : الكاملين في الخروج عن الطاعة والانهماك في معاصي الله ، ويدخل فيهم المنافقون دخولا أوليا، ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال:هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي : حتى يتفرقوا عنه يعنون بذلك فقراء المهاجرين ، والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرة الله لهم، قرأ الجمهور: "ينفضوا" من الانفضاض وهو التفرق وقرأ الفضل بن عيسى الرقاشي "ينفضوا" من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم يقال: نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال : ولله خزائن السماوات والأرض أي : إنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن الرزق له فيعطي من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك ولا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله عز وجل وأنه الباسط القابض المعطي المانع، ثم ذكر سبحانه مقالة شنعاء قالوها فقال : يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل القائل لهذه المقالة هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين وعنى بالأعز نفسه ومن معه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ومراده بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة وإنما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فرد من أفرادهم وهو عبد الله بن أبي لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون ثم رد الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أي : القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده لا لغيرهم.

اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للعادلين من عبادك وأنزل الذلة على الجائرين الظالمين ولكن المنافقين لا يعلمون بما فيه النفع فيفعلونه وبما فيه الضر فيجتنبونه بل هم كالأنعام لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم.

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن زيد بن أرقم قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله

حتى ينفضوا من حوله وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا: كذب زيد رسول الله فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى أنزل الله تصديقي في إذا جاءك المنافقون فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم وهو قوله: كأنهم خشب مسندة قال: كانوا رجالا أجمل شيء، وأخرجه عنه بأطول من هذا ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : إنما سماهم الله منافقين لأنهم كتموا الشرك وأظهروا الإيمان، وأخرج ابن المنذر عنه اتخذوا أيمانهم جنة قال : حلفهم بالله إنهم لمنكم اجتنوا بأيمانهم من القتل والحرب.

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر ابن عبد الله قال : "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة قال سفيان : يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع [1] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى الجاهلية" ؟ قالوا :رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها منتنة" فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: وقد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" زاد الترمذي: فقال له ابنه عبد الله والله لا تنفلت [2] حتى تقر أنك الذليل ورسول الله العزيز، ففعل.

{يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرونْ وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحينْ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملونْ}: (المنافقون:9-11)

لما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع إلى خطاب المؤمنين مرغبا لهم في ذكره فقال "يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله" فحذرهم عن أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ومعنى لا تلهكم : لا تشغلكم والمراد بالذكر فرائض الإسلام قاله الحسن وقال

---

(1) "كسع" : ضرب عجيزته ودبره بيد أو رجل أو سيف أو غير.

(2) "تنفلت" أي لا ترجع.

الضحاك الصلوات الخمس وقيل قراءة القرآن وقيل :هو خطاب للمنافقين ووصفهم بالإيمان لكونهم آمنوا ظاهرا والأول أولى "ومن يفعل ذلك" أي : يلتهي بالدنيا عن الدين، "فأولئك هم الخاسرون" أي الكاملون في الخسران "وأنفقوا من ما رزقناكم" الظاهر أن المراد الإنفاق في الخير على عمومه ومن للتبعيض أي : أنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير وقيل : المراد الزكاة المفروضة "من قبل أن يأتي أحدكم الموت" بأن تنزل به أسبابه ويشاهد حضور علاماته وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام "فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب" أي: يقول عند نزول ما نزل به مناديا لربه هلا أمهلتني وأخرت موتي إلى أجل قريب أي:أمد قصير فأصدق أي: فأتصدق بمالي وأكن من الصالحين قرأ الجمهور: "فأصدق" بإدغام التاء في الصاد وانتصابه على أنه جواب التمني، وقيل: إن "لا" في لولا زائدة والأصل: لو أخرتني.

وقرأ أبي وابن مسعود وسعيد بن جبير "فأتصدق" بدون إدغام على الأصل وقرأ الجمهور : "وأكن" بالجزم على محل فأتصدق كأنه قيل : إن أخرتني أتصدق وأكن قال الزجاج : معناه هلا أخرتني وجزم"أكن" على موضع فأصدق لأنه على معنى إن أخرتني أصدق وأكن" وكذا قال أبو علي الفارسي وابن عطية وغيرهم، وقال سيبويه حاكيا عن الخليل : إنه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني.

وقرأ أبو عمرو وابن محيصن ومجاهد "وأكون" بالنصب عطفا على "فأصدق" ووجهها واضح، ولكن قال أبو عبيد: رأيت في مصحف عثمان "وأكن" بغير واو وقرأ عبيد بن عمير: "وأكون" بالرفع على الاستئناف أي: وأنا أكون قال الضحاك: لا ينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤد زكاة إلا سأل الرجعة وقرأ هذه الآية ثم أجاب الله سبحانه عن هذا المتمني، فقال: "ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها" أي: إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، "والله خبير بما تعملون" لا يخفى عليه شيء منه فهو مجازيكم بأعمالكم، قرأ الجمهور:"تعملون" بالفوقية على الخطاب وقرأ أبو بكر عن عاصم والسلمي بالتحتية على الخبر.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : "يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم" الآية قال : هم عباد من أمتي الصالحون منهم لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلوات الخمس المفروضة.

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان له مال يبلغه حج بيت الله أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة

الكافر فقال: سأتلوا عليكم بذلك قرآنا "يا أيها الذين آمنوا" إلى آخر السورة ، وأخرج ابن المنذرعن ابن عباس فأصدق وأكن من الصالحين قال: أحج [1].

تاريخ الغزوة

قد اختلف العلماء فى ذلك،فيها ثلاثة أقوال:

الأول : أنها فى ست سنة ، وهذا قول ابن إسحاق وخليفة ابن الخياط وابن جريرى الطبرى وابن حزم وابن عبد البر وابن العربى وابن الأثير وابن خلدون فقد كان صرح كل منهم بأن هذه الغزوة وقعت فى السنة السادسة للهجرة.[2]

وذهب بعض العلماء إلى أنها وقعت فى السنة الرابعة مثلا: المسعودى وابن العربى المالكى وغيرهم، وذهب أكثر العلماء إلى أنها فى السنة الخامسة ، منهم موسى بن عقبة وابن سعد وابن قتيبة والبلاذرى والذهبى وابن القيم وابن الحجر العسقلانى وابن كثير رحمهم الله. ومن المحدثين إمام الغزالى والبوطى وأبوشهبة وغيرهم رحمهم الله.

ويبدو لى أن هذا الرأى أقرب للصواب لوجوه، منها:

- هذا قول جمهور اصحاب السيروالمغازى كما أن عددا كبيرا ممن كتب فى السير من المعاصرين سار عليه.
- أن هذا القول يؤيده وجود سعد بن معاذ (رضى الله عنه)[3] فى الغزوة، فقد جاء ذكره فى حديث الإفك الذى كان فى أعقاب غزوة بنى المصطلق، والذى أخرجه الإمام البخارى:

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى ، (5/276-279)

([2]) أنظر: صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (ت ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (ص 245)،

(2)سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النّبيت بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأشهليّ، سيّد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، ويكنى أبا عمرو، شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا، حتى حكم في بني قريظة، وأجيبت دعوته في ذلك، ثم انتقض جرحه، فمات.(أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، رقم: 321)

"فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال، يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك".[1]

وقد كانت وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه فى أعقاب غزوة بنى قريظة، وغزوة بنى قريظة كانت فى ذى القعدة من السنة الخامسة على القول الراجح، فيتعين أن تكون غزوة بنى المصطلق قبلها.

أسباب هذه الغزوة

من أهم الأسباب لهذه الغزوة:

1) تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها فى معركة أحد ضد المسلمين، وضمن كتلة[2] الأحابيش،[3] التى اشتركت فى المعركة تأييدا لقريش.

2) سيطرة هذه القبيلة على الخط الرأيسي المؤدى إلى مكة ،فكانت حاجزا منيعا من نفوذ المسلمين إلى مكة.[4]

3) أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بلغه أن بنى مصطلق يجمعون له، وكان قائدهم الحارث بن أبى ضرار ينظم جموعهم ، فلما سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء مياههم يقال له المريسع من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة.[5]

أحداث غزوة بنى المصطلق أو غزوة المريسع [6]

([1]) رواه صحيح البخارى، برقم: (4750)، ومسلم: فى الجامع الصحيح "صحيح مسلم"، (طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة)، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري – محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي – أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا،عام النشر: ١٣٣٤ هـ)، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ): برقم: (2770)

([2]) الكتلة بالضم ،القطعة المجتمعة من الصمغ وغيره.(أنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد مرتضى الحسيني الملقب بمرتضى ،الزَّبيدى،المتوفى:1250هـ، تحقيق: جماعة من المحققين،الناشر: دار الهداية: (312/30)

([3]) قال ابن إسحاق: إن الأحابيش هم بنو الهون وبنو الحارث من كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة، تحبشوا: أي تجمعوا، فسموا بذلك.(أنظر: المصدر السابق : (127/17–128)

([4]) أنظر: صحيح السيرة النبوية للعلى: (247)

([5]) : أنظر : حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (315/1)

([6]) : والمريسيع، مصغر مرسوع: بئر، أو ماء لخزاعة على يوم من الفرع.(أنظر : القاموس المحيط، لمجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م،(721)

عند ما شعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحركة بنى المصطلق أرسل بريدة بن الحصيب الأسلمى [1] ممن نيتهم وأظهر لهم بريدة: أنه جاء لعونهم فتأكد من قصدهم فأخبر الرسول بذلك، وفى يوم الإثنين سنة خمس خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلتين خلتا من شعبان فى سبع مأة مقاتل[2]، وثلاثين فارسا[3]، متوجها إلى بنى المصطلق ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام واشتركوا مع الكفار فى غزوة أحد، وكانو يجمعون الجموع لحرب المسلملين، فقد روى البخارى[4] ومسلم[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار عليهم وهم غارون أى: غافلون– وأنعامهم تسقى على الماء وقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم.

قال الواقدى: إن بنى المصطلق من خزاعة كانوا ينزلون ناحية الفرع ،وهم حلفاء من بنى مدلج وكان رأسهم و سيدهم الحارث بن أبى ضرار[6] وكان قد سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

([1]) هو ابن الحارث بن الأعرج بن سعد، أبو عبد الله – وقيل: أبو سهل، وأبو ساسان، وأبو الحصيب – الأسلمي، قيل: إنه أسلم عام الهجرة، إذ مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا، وشهد: غزوة خيبر، والفتح، وكان معه اللواء، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة قومه.(أنظر : سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار –عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م،عدد الأجزاء: ٢٥، :(رقم: 91)

([2]) أنظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)،المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، (349/2)

([3]) أنظر : المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٣ (405/1)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان،الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢: (128/2)

([4]) رواه صحيح البخارى ، رقم : (2541)

([5]) رواه صحيح مسلم ، رقم : (1730)

([6]) هو الحارث بن أبي ضرار وهو حبيب بن الحارث بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي المصطلقي، أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنت الحارث: (أنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد

وجعلت الركبان تقدم من ناحيتهم فيخبرون بميسرهم فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبعث بريد بن الحصيب الأسلمى يعلم علم ذلك، واستاذن النبى (صلى الله عليه وسلم) أن يقول فأذن له فخرج حتى ورد عليهم ماءهم فوجد قوما مغرورين قد تألبوا وجمعوا الجموع فقالوا: من الرجل؟ قال : الرجل منكم، فقدمت لما بلغنى عن جمعكم لهذا الرجل فأسير فى قومى ومن اطاعنى فتكون يدنا واحدة نستأصله ، قال الحارث بن أبى ضرار: نحن على ذلك فعجل علينا، قال بريدة: أركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني. فسروا بذلك منه، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر القوم، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وأخبرهم خبر عدوهم فأسرع الناس للخروج.[1]

وقادوا الخيل وهي ثلاثون فرسا في المهاجرين منها عشرة وفي الأنصار عشرون، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذر الغفاري[2] ويقال : نميلة بن عبد الله الليثي.[3،4]

وبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وأنه قد قتل عينه الذي كان وجهه ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيء لذلك الحرث ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المريسيع وهو

الموجود،الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨، رقم: (905)

(1) أنظر: المغازى للواقدى: (1/404-405)

(2) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة أول الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة،ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه بالمدينة بعد ما ذهبت بدر، وأحد، والخندق، وصحبه إلى أن مات، وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق، وإن كان مرا.(أنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير)، رقم: (800)

(2) نميلة بن عبد الله بن فقيم بن حزن بن سيار بن عبد الله بن عبد بن كليب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث، صحب النبي صلى الله عليه وسلم.

(أنظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤ ، (رقم:2664)

(3) أنظر : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس (2/128-129)

الماء فضرب عليه قبته ومعه عائشة[1] وأم سلمة [2] فتهيئوا للقتال وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة [3] فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء والذرية.[4]وأصاب جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار.[5]

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث رضى الله عنها[6].

([1]) عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنتين، وهي بكر، قاله أبو عبيدة، وقيل: بثلاث سنين، وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفع بالبقيع ليلا، فدفنت وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعروة، ابنا الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان عمرها ثمان عشرة سنة.(أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، رقم:7093)

([2]) هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الراكب، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، كانت قبله عليه السلام عند أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عمر وسلمة ودرة وزينب. .(أنظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب بن عبد البر،رقم:4160)

([3]) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ، سيّد الخزرج، يكنى أبا ثابت وأبا قيس، وأمه عمرة بنت مسعود لها صحبة، وماتت في زمن النّبي صلّى الله عليه وسلم سنة خمس وشهد سعد العقبة، وكان أحد النّقباء، واختلف في شهوده بدرا، فأثبته البخاريّ، وقال ابن سعد: كان يتهيأ للخروج فنهس فأقام، وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلم: "لقد كان حريصا عليها". (أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨، (رقم:3180)

([4]) أنظر : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس (128/2–129)

(5) أنظر: المصدر السابق: (129/2)

([6]) وهى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب الخزاعية المصطقية سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق فى السنة الخامسة من الهجرة قاله الواقدى، وقال خليفة بن خياط : فى السادسة، قال ابن قتيبة فى المعارف : كان يوم بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس. قال ابن سعد وغيره : كانت جويرية رضى الله عنها تحت مسافع بن صفوان ذى الشفرين فقتل يوم المريسيع، وذكر محمد بن سعد –

قسّم رسول الله سبايا بنى المصطلق ،وكانت من بين السبايا جويرية بنت الحارث ووقعت برة بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من بر وكاتبها أي على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله إني امرأة مسلمة: أي أسلمت لأني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وإني برة بنت الحارث سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة لي به وإني رجوتك فأعني في مكاتبتي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو خير من ذلك؟ قالت: ماهو؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضي الله عنه: هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوجها وسماها جويرية.[1]

وقالت عائشة (رضى الله عنها) : وخرج الخبر إلى الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.[2]

محاولة المنافقين فى هذه الغزوة آثار الفتنة بين المهاجرين والانصار خرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة لكنهم لما رأوا اطراد النصر للمسلمين خرجوا طمعا في الغنيمة.[3]

وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين، فكلما كسب الإسلام نصرا جديدا ازدادوا غيظا على غيظهم, وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون

-بإسناده أنها توفيت فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين فى خلافة معاوية رضى الله عنه وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة، (أنظر: تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٤)، (رقم : 1153)

([1]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المؤلف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: ٣) :(380/2)

([2]) أنظر: البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٤، : (159/4)

([3]) أنظر: السيرة النبوية– عرض وقائع وتحليل أحداث،لعلى محمد محمد الصلابى : (575)

TH-26785

لتشفى من الغل، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار.[1]

نتائج الغزوة

أ. تعد غزوة بنى المصطلق من الغزوات الفريدة التى أسلمت عقبها قبيلة بأسرها وكان الحديث الذى أسلمت القبيلة من أجله هوأن الصحابة (رضى الله عنهم) حرروا وردوا الأسرى الذى أصابوهم إلى ذويهم بعد أن تملكوهم باليمن فى قسم الغنائم واستكثرواعلى أنفسهم أن يتملكوا أصهار بينهم وحيال عتق الجماعى، وإزاء هذه الأريحية الفذة، دخلت القبيلة كلها فى دين الله.

ب. الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصف الداخلية، ويظهر هذا فى قوله : فكيف يا عمر! إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه،[2] إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية ،والفرق كبير جدا بين أن يتحدث الناس عن حب اصحاب محمد محمدا، ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبى سفيان: ما رأيت يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا، وبين أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، ولا شك أن وراء ذلك محاولات ضخمة ستتم في محاولة الدخول إلى الصف الداخلي في المدينة من العدو بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات.[3]

ج. كان لابن أبي ابن سلول ولد مؤمن مخلص يسمى عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول فلما علم بالأحداث ونزول السورة أتى رسول الله فقال له: (يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي ابن سلول فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وإني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا"، ولما وصل المسلمون مشارف المدينة تصدى عبد الله لأبيه عبد

([1]) أنظر: السيرة النبوية– عرض وقائع وتحليل أحداث،لعلى محمد محمد الصلابى: (575)

([2]) أنظر: صحيح البخارى، رقم: (4905) ، و صحيح مسلم ، رقم: (2584)

([3]) أنظر: السيرة النبوية– عرض وقائع وتحليل أحداث،لعلى محمد محمد الصلابى : (577)

الله بن أبي وقال له: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه في ذلك فأذن له.[1]

ح. قد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن العصبيات هي من دعاوى الجاهلية وقال: "لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره" فجعل التناصر في طلب الحق والإنصاف وأبطل المفهوم الجاهلي: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما".[2]

خ. نزلت سورة (المنافقون) في أعقاب غزوة بني المصطلق حيث كان المسلمون راجعين إلى لمدينة وذلك بدليل رواية الإمام الترمذي "فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقون"[3] فقد تحدثت السورة بإسهاب عن المنافقين وأشارت إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم وفضحت أكاذيبهم ووصفت أحوالهم.

قال تعالى: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ – اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ – ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ – وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المنافقون: 1 – 4].

ثم بينت الآيات عنادهم وتصميمهم على الباطل، وعصيانهم لمن يدعوهم إلى الحق وبينت مقالاتهم الشنيعة بالتفصيل.

قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ

([1]) أنظر: السيرة النبوية– عرض وقائع وتحليل أحداث،لعلي محمد محمد الصلابي: (578)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (579)

([3]) أنظر: الجامع الكبير (سنن الترمذي)، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٦ ، رقم: (3313)

لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ۝) [المنافقون: 5-8].[1]

وكانت خاتمة السورة الكريمة تحذيرا للمؤمنين من الإشتغال بزينة الدنيا التى هى من أخلاق المنافقين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ۝} (المنافقون:9-11)

وهكذا كان المجتمع المدنى يتربى بالأحداث، والقرآن الكريم يقوم بتوجيهه وتعليمه ،ورسول الله صلى الله عليه

وسلم يقوم بالأشراف على ذلك.

---

(1) أنظر: السيرة النبوية- عرض وقائع وتحليل أحداث،لعلى محمد محمد الصلابى : (580)

المطلب الثانى

غزوة الأحزاب

ما ورد فى القرآن الكريم عن غزوة الاحزاب وتفسير الإمام الشوكانى له

قال الله تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ۝}(الأحزاب:9)

قال الشوكانى رحمه الله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم" هذا تحقيق لما سبق من الأمر بتقوى الله بحيث لا يبقى معها خوف من أحد وقوله: عليكم متعلق بالنعمة إن كانت مصدرا أو بمحذوف هو حال أي: كائنة عليكم ومعنى إذ جاءتكم جنود حين جاءتكم جنود وهو ظرف للنعمة أو للمقدر عاملا في عليكم أو المحذوف هو اذكر والمراد بالجنود: جنود الأحزاب الذين تحزبواعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزوه إلى المدينة وهي الغزوة المسماة "غزوة الخندق" وهم: أبو سفيان بن حرب بقريش ومن معهم من الألفاف وعيينة بن حصن الفزاري ومن معه من قومه غطفان وبنو قريظة والنضير فضايقوا المسلمين مضايقة شديدة كما وصف الله سبحانه في هذه الآيات، "فأرسلنا عليهم ريحا" معطوف على جاءتكم ،قال مجاهد: هي الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى ألقت قدورهم ونزعت فساطيطهم ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور" والمراد بقوله : وجنودا لم تروها الملائكة، قال المفسرون: بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل قوم يقول لقومه : يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا قال لهم : النجاء النجاء.[1]

"من مسند حذيفة بن اليمان" عن زيد بن أسلم قال : قال رجل لحذيفة أشكو إلى الله صحبتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره قال حذيفة : ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه والله ما أدري لو أنك أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الخندق ليلة باردة مطيرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة؟ فما قام منا أحد ثم قال: هل

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى (4/304-305)

من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم ادخله الله الجنة؟ فوالله ما قام منا أحد ثم قال: هل من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي في الجنة؟ فما قام منا أحد فقال أبو بكر يا رسول الله ابعث حذيفة قال حذيفة: فقلت دونك فوالله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا حذيفة حتى قلت يا رسول الله بأبي وأمي أنت والله مابي أن أقتل ولكن أخشى أن أؤسر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنك لن تؤسر فقلت: يا رسول الله مرني بما شئت فقال: اذهب حتى تدخل في القوم فنأتي قريشا فتقول: يا معشر قريش: إنما يريد الناس أن يقولوا غدا: أين قريش أين قادة الناس أين رؤوس الناس؟ تقدموا فتقدموا فتصلوا بالقتال فيكون القتل بكم ثم ائت كنانة فقل: يا معشر كنانة إنما يريد الناس غدا أن يقولوا أين كنانة أين رماة الحدق تقدموا فتقدموا فتصلوا بالقتال فيكون القتل بكم ثم ائت قيسا فقل: يا معشر قيس إنما يريد الناس غدا أن يقولوا: أين قيس أين أحلاس الخيل أين فرسان الناس تقدموا فتقدموا فتصلوا بالقتال ويكون القتل بكم، ثم قال لي: ولا تحدث في سلاحك شيئا قال حذيفة: فذهبت فكنت بين ظهراني القوم أصطلي معهم على نيرانهم وأذكر لهم القول الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين قريش أين كنانة أين قيس حتى إذا كان وجه السحر قام أبو سفيان يدعو باللات والعزى ويشرك ثم قال: لينظر رجل من جليسه؟ قال: ومعي رجل يصطلي قال: فوثبت عليه مخافة أن يأخذني فقلت: من أنت؟قال: أنا فلان قلت: أولى فلما رأى أبو سفيان الصبح قال أبو سفيان: نادوا أين قريش أين رؤوس الناس أين قادة الناس تقدموا قالوا: هذه المقالة التي أتينا بها البارحة ثم قال: أين كنانة أين رماة الحدق تقدموا فقالوا: هذه المقالة التي أتينا بها البارحة ثم قال: أين قيس أين فرسان الناس أين أحلاس الخيل تقدموا فقالوا هذه المقالة التي أتينا بها البارحة قال: فخافوا فتخاذلوا وبعث الله عليهم الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا كفأته وتنادوا بالرحيل قال حذيفة حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يستحثه للقيام ولا يستطيع القيام لعقاله فقال حذيفة: فوالله لولا ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدث في سلاحك شيئا لرميته من قريب قال: وسار القوم وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى رأيت أنيابه". "د، كر".[1]

([1]) أنظر : كنز العمال فى سنن الأفعال والأقوال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري الشهير المتقي الهندي المتوفى(975 هـ)، تحقيق:بكري حياني، صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الطبعة الخامسة،1401هـ ، رقم : (30085)

وكان الله بما تعملون بصيرا قرأ الجمهور "تعملون" بالفوقية أي: بما تعملون أيها المسلمون من ترتيب الحرب وحفر الخندق واستنصاركم به وتوكلكم عليه، وقرأ أبو عمرو بالتحتية أي: بما يعمله الكفار من العناد لله ولرسوله والتحزب على المسلمين واجتماعهم عليهم من كل جهة.[1]

وقال الله تعالى:

{إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا}: (الأحزاب:10)

وقال الشوكاني رحمه الله: إذ جاؤكم من فوقكم إذ هذه وما بعدها بدل من إذ الأولى والعامل في هذه هو العامل في تلك، وقيل: منصوبة بمحذوف هو: اذكر ومعنى من فوقكم: من أعلى الوادي وهو من جهة المشرق، والذين جاءوا من هذه الجهة هم غطفان وسيدهم: عيينة بن حصن وهوازن وسيدهم: عوف بن مالك وبنو النضير ومعنى ومن أسفل منكم، من أسفل الوادي من جهة المغرب من ناحية مكة وهم قريش ومن معهم من الأحابيش وسيدهم: أبو سفيان بن حرب وجاء أبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة من وجه الخندق ومعهم عامر بن الطفيل وجملة.[2]

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض. قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم إسلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا" (النساء: 51-52) فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (305/4)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (305/4)

يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة ابن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال إن الذي أشار به سلمان رضى الله عنه.[1]

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام.[2]

قال موسى بن عقبة ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم، قال ابن إسحاق: وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي، قال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشئوم واين قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا، قال ويحك افتح لي أكلمك، قال ما أنا بفاعل، قال والله ان أعلقت دوني إلا خوفا على جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام قال وما ذاك قال جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه، فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره وقال: إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه، قال ابن

([1]) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: (4/94-95).

([2]) أنظر: المصدر السابق: (4/102)

إسحاق فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له- يعني في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي محاربته مع الأحزاب- على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد العهد وبريء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، قال فخرجوا حتى أتوهم، قال موسى ابن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا: الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير) ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ إنا والله ما جئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاتمة، ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه.

فقالوا أكلت أير أبيك، فقال غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن، وقال ابن إسحاق: نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أي كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين. قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا أنه لم يأته عن بني قريظة خير. ثم انه رفع رأسه وقال أبشروا بفتح الله ونصره.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطا وأقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهري إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن

أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشار هما فيه، فقالا: يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ فقال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لاني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا، قال فأقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش– منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر– تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيئوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه، فلما خرج هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له:يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال، قال له: لم يا ابن أخي فو الله ما أحب أن أقتلك. قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه.[1]

([1]) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: (4/102–105)

كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن. قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته، فقالت له أمه الحق بني فقد والله أخرت، قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي. قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل، قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.[1]

قال ابن إسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان.

فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذ أتانا آت فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فأقتله، قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب.[2]

قالوا: وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال ابن خلافه بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ص، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي،

([1]) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: (108/4)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (109/4)

فمرني بما شئت فقال له رسول الله ص: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة- وكان لهم نديما في الجاهلية- فقال لهم: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره فليسوا كهيئتكم إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت برأي ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش! قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمدا وقد بلغني أمر رأيت حقا علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا: نفعل، قال: فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان! أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا علي، قالوا: نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس وكان مما صنع الله عز وجل لرسوله أن أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى أن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد.

فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك تشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عز وجل عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين والحمد لله رب العالمين.[1]

"وإذ زاغت الأبصار" شخصت دهشا من فرط الهول والحيرة "وبلغت القلوب الحناجر" وهي جوف الحلقوم، أي: ارتفعت القلوب عن مكانها ووصلت من الفزع والخوف إلى الحناجر فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها وهو الذي نهايته الحنجرة لخرجت كما قال قتادة وقيل: هو على طريق المبالغة المعهود في كلام العرب وإن لم ترتفع القلوب إلى ذلك المكان ولا خرجت عن موضعها ولكنه مثل في اضطرابها وجبنها، قال الفراء: والمعنى أنهم جبنوا وجزع أكثرهم وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة ارتفع القلب إلى الحنجرة ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره وتظنون بالله الظنونا أي: الظنون المختلفة فبعضهم ظن النصر ورجا الظفر وبعضهم ظن خلاف ذلك، وقال الحسن: ظن المنافقون أن يستأصل محمد وأصحابه وظن المؤمنون أنه ينصر وقيل: الآية خطاب للمنافقين والأولى ما قاله الحسن فيكون الخطاب لمن أظهر الإسلام على الإطلاق أعم من أن يكون مؤمنا في الواقع أو منافقا.[2]

وقال الله تعالى:

{هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً} (الاحزاب:11)

وقال الشوكاني رحمه الله : "هنالك ابتلي المؤمنون" أي: اختبر المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال ليتبين المؤمن من المنافق "وزلزلوا زلزالا شديدا"، قال ابن سلام: معنى زلزلوا: حركوا بالخوف تحريكا شديدا، وقال الضحاك: هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق وقيل: المعنى أنهم اضطربوا اضطرابا مختلفا فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه.[3]

وقال الله تعالى:

([1]) أنظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ١١، (2/578–579)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (305/4)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (306/4)

{وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا} (الأحزاب:12)

وقال الشوكاني رحمه الله: "وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض" معطوف على" إذ زاغت الأبصار" والمرض في القلوب هو الشك والريب والمراد بالمنافقون: عبد الله بن أبي وأصحابه وبالذين في قلوبهم مرض: أهل الشك والاضطراب ما وعدنا الله ورسوله من النصر والظفر إلا غرورا أي: باطلا من القول وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلا من أهل النفاق والشك وهذا القول المحكي عن هؤلاء هو كالتفسير للظنون المذكورة أي: كان ظن هؤلاء هذا الظن كما كان ظن المؤمنين النصر وإعلاء كلمة الله.[1]

وقال الله تعالى:

{وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً} (الاحزاب: 13)

وقال الشوكاني رحمه الله: وإذ قالت طائفة منهم أي: من المنافقين قال مقاتل: هم بنو سالم من المنافقين، وقال السدي: هم عبد الله بن أبي وأصحابه، وقيل: هم أوس بن قبطي وأصحابه والطائفة تقع على الواحد فما فوقه والقول الذي قالته هذه الطائفة هو قوله: يا أهل يثرب لا مقام لكم أي: لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم هاهنا في العسكر،قال أبو عبيد: يثرب اسم الأرض ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم في ناحية منها، قال السهيلي: وسميت يثرب لأن الذي نزلها من العمالقة اسمه يثرب بن عميل فارجعوا أي: إلى منازلكم أمروهم بالهرب من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون: ليس هاهنا موضع إقامة وأمروا الناس بالرجوع إلى منازلهم بالمدينة" ويستأذن فريق منهم النبي" معطوف على "قالت طائفة منهم" أي: يستأذنون في الرجوع إلى منازلهم وهم بنو حارثة وبنو سلمة وجملة يقولون بدل من قوله: "يستأذن" أو حال استئناف جوابا لسؤال مقدر والقول الذي قالوه هو قولهم "إن بيوتنا عورة" أي: ضائعة سائبة ليست بحصينة ولا ممتنعة عن العدو، قال الزجاج: يقال عور المكان يعور عورا وعورة وبيوت عورة وعورة وهي مصدر، قال مجاهد ومقاتل والحسن: قالوا بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، وقال قتادة: قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلنا، قال الهروي: كل مكان ليس بممنوع، ولا مستور فهو عورة، والعورة في الأصل: الخلل فأطلقت على المختل والمراد: ذات عورة وقرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو رجاء

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (306/4)

العطاردي عورة بكسر الواو أي: قصيرة الجدران، قال الجوهري: العورة كل حال يتخوف منه في ثغر أو حرب، ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله: وما هي بعورة فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه، والجملة في محل نصب على الحال ثم بين سبب استئذانهم وما يريدونه به فقال: إن يريدون إلا فرارا أي: ما يريدون إلا الهرب من القتال، وقيل المراد: ما يريدون إلا الفرار من الدين.[1]

وقال الله تعالى:

{ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا} (الأحزاب:14)

وقال الشوكاني رحمه الله: ولو دخلت عليهم من أقطارها يعني: بيوتهم أو المدينة، والأقطار: النواحي جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى: لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة من جوانبها جميعا لا من بعضها، ونزلت بهم هذه النازلة الشديدة واستبيحت ديارهم وهتكت حرمهم ومنازلهم ثم سئلوا الفتنة من جهة أخرى عند نزول هذه النازلة الشديدة بهم لآتوها أي: لجاءوها أو أعطوها ومعنى الفتنة هنا: إما القتال في العصبية كما قال الضحاك أو الشرك بالله والرجعة إلى الكفر الذي يبطنونه ويظهرون خلافه كما قال الحسن، قرأ الجمهور لآتوها بالمد أي: لأعطوها من أنفسهم وقرأ نافع وابن كثير بالقصر أي: لجاءوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا أي: بالمدينة بعد أن أتوا الفتنة إلا تلبثا يسيرا حتى يهلكوا كذا قال الحسن والسدي والفراء والقتبي، وقال أكثر المفسرين: إن المعنى وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلا قليلا بل هم مسرعون إليها راغبون فيها لا يقفون عنها إلا مجرد وقوع السؤال لهم ولا يتعللون عن الإجابة بأن بيوتهم في هذه الحالة عورة مع أنها قد صارت عورة على الحقيقة كما تعللوا عن إجابة الرسول والقتال معه بأنها عورة ولم تكن إذ ذاك عورة.[2]

وقال الله تعالى:

{ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا} (الأحزاب:15)

وقال الشوكاني رحمه الله: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار أي: من قبل غزوة الخندق ومن بعد بدر قال قتادة: وذلك أنهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وهم بنو حارثة وبنو سلمة وكان عهد الله مسؤلا أي: مسؤولا عنه ومطلوبا صاحبه بالوفاء به ومجازى على ترك الوفاء به.[3]

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (307/4)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (307/4)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (308/4)

قال الفقيه السمرقندى:هم سبعون رجالا ،بايعواالنبى (صلى الله عليه وسلم) فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال:"أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم به أنفسكم وأولادكم" فقالوا: قد فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال عليه السلام: "لكم النصرة في الدنيا والجنة في الآخرة" قالوا: قد فعلنا ذلك فذلك قوله: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار منهزمين وكان عهد الله مسؤلا يعني: يسأل في الآخرة من ينقض العهد.[1]

وقال الله تعالى:

{قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا} (الأحزاب:16)

وقال الشوكانى رحمه الله: قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإن من حضر أجله مات أو قتل فر أو لم يفر وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي: تمتعا قليلا أو زمانا قليلا بعد فرارهم إلى أن تنقضي آجالهم وكل ما هو آت فهو قريب، قرأ الجمهور "تمتعون" بالفوقية وقرأ يعقوب الحضرمي في رواية الساجي عنه بالتحتية، وفي بعض الروايات "لا تمتعوا" بحذف النون إعمالا لإذن وعلى قراءة الجمهور هي ملغاة.[2]

وقال الله تعالى:

{قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا} (الاحزاب: 17)

وقال الشوكانى رحمه الله: قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أي: هلاكا أو نقصا في الأموال وجدبا ومرضا أو أراد بكم رحمة يرحمكم بها من خصب ونصر وعافية ولا يجدون لهم من دون الله وليا يواليهم ويدفع عنهم ولا نصيرا ينصرهم من عذاب الله.[3]

وقال الله تعالى:

{قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا} (الأحزاب:18)

وقال الشوكانى رحمه الله: قد يعلم الله المعوقين منكم يقال: عاقه واعتاقه وعوقه: إذا صرفه عن الوجه الذي يريده، قال الواحدي قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم قالوا لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتقمهم

([1]) أنظر: تفسير السمرقندى=بحر العلوم، هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث الفقيه السمرقندي المشهور ب: إمام الهدى، قال الكنوي (المتوفى :393هـ)، (51/3)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (308/4)

([3]) أنظر: المصدرالسابق: (308/4)

أبو سفيان وحزبه، فخلوهم وتعالوا إلينا وقيل: إن القائل هذه المقالة اليهود قالوا: لإخوانهم من المنافقين هلم إلينا ومعنى هلم:أقبل واحضر وأهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث وغيرهم من العرب يقولون: هلم للواحد المذكر وهلمي للمؤنث وهلما للاثنين وهلموا للجماعة ولا يأتون البأس أي الحرب إلا قليلا خوفا من الموت وقيل المعنى: لا يحضرون القتال إلا رياء وسمعة من غير احتساب.[1]

وقال الله تعالى:

{أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا} (الأحزاب:19)

وقال الشوكاني رحمه الله:أشحة عليكم أي: بخلاء عليكم لا يعاونونكم بحفر الخندق ولا بالنفقة في سبيل الله قال مجاهد وقتادة، وقيل: أشحة بالقتال معكم وقيل: بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم، وقيل: أشحة بالغنائم إذا أصابوها، قاله السدي، وانتصابه على الحال من فاعل يأتون، أو من المعوقين، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم أي: تدور يمينا وشمالا وذلك سبيل الجبان إذا شاهد ما يخافه كالذي يغشى عليه من الموت أي: كعين الذي يغشى عليه من الموت وهو الذي نزل به الموت وغشيته أسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف ويقال للميت إذا شخص بصره: دارت عيناه ودارت حماليق عينيه، والكاف: نعت مصدر محذوف فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد يقال: سلق فلان فلانا بلسانه: إذا أغلظ له في القول مجاهرا، قال الفراء: أي آذوكم بالكلام في الأمن بألسنة سليطة ذربة ويقال: خطيب مسلاق ومصلاق إذا كان بليغا ،قال قتادة: معنى الآية: بسطوا ألسنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطنا فإنا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة أشح قوم وأبسطهم لسانا ووقت البأس أجبن قوم وأخوفهم، قال النحاس: وهذا قول حسن وانتصاب: أشحة على الخير على الحالية من فاعل سلقوكم ويجوز أن يكون نصبه على الذم، وقرأ ابن أبي عبلة برفع أشحة والمراد هنا: أنهم أشحة على الغنيمة يشاحون المسلمين عند القسمة قال يحيى بن سلام، وقيل: على المال أن ينفقوه في سبيل الله، قاله السدي، ويمكن أن يقال معناه: أنهم قليلو الخير من غير تقييد بنوع من أنواعه والإشارة بقوله: أولئك إلى الموصوفين بتلك الصفات لم يؤمنوا إيمانا خالصا بل هم منافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (310/4)

فأحبط الله أعمالهم أي:أبطلها بمعنى: أظهر بطلانها لأنها لم تكن لهم أعمال تقتضي الثواب حتى يبطلها الله، قال مقاتل: أبطل جهادهم لأنه لم يكن في إيمان وكان ذلك على الله يسيرا أي: وكان ذلك الإحباط لأعمالهم أو كان نفاقهم على الله هينا.[1]

وقال الله تعالى:

{يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا} (الأحزاب:20)

وقال الشوكاني رحمه الله: يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب باقون في معسكرهم لم يذهبوا إلى ديارهم، وذلك لما نزل بهم من الفشل والروع وإن يأت الأحزاب مرة أخرى بعد هذه المرة يودوا لو أنهم بادون في الأعراب أي: يتمنون أنهم في بادية الأعراب لما حل بهم من الرهبة، والبادي خلاف الحاضر، يقال: بدا يبدو بداوة: إذا خرج إلى البادية يسئلون عن أنبائكم أي: عن أخباركم، وما جرى لكم، كل قادم عليهم من جهتكم، أو يسأل بعضهم بعضا عن الأخبار التي بلغته من أخبار الأحزاب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعنى: أنهم يتمنون أنهم بعيد عنكم يسألون عن أخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا أي: لو كانوا معكم في هذه الغزوة مشاهدين للقتال ما قاتلوا معكم إلا قتالا قليلا خوفا من العار وحمية على الديار.[2]

وقال الله تعالى:

{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} (الأحزاب:21)

وقال الشوكاني رحمه الله: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي: قدوة صالحة يقال لي في فلان أسوة أي: لي به والأسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء قرأ الجمهور "أسوة" بالضم للهمزة وقرأ عاصم بكسرها وهما لغتان كما قال الفراء وغيره وفي هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله أسوة وهذه الآية وإن كان سببها خاصا فهي عامة في كل شيء ومثلها: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ،واللام في لمن

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (4/310-311)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (4/311)

كان يرجوا الله واليوم الآخر: متعلق بحسنة أو: بمحذوف هو صفة لحسنة أي: كائنة لمن يرجو الله، وقيل: إن الجملة بدل من الكاف في لكم، ورده أبو حيان وقال: إنه لا يبدل من ضمير المخاطب بإعادة الجار، ويجاب عنه: بأنه قد أجاز ذلك الكوفيون والأخفش وإن منعه البصريون والمراد بمن كان يرجو الله: المؤمنون فإنهم الذين يرجون الله ويخافون عذابه ومعنى يرجون الله: يرجون ثوابه أو لقاءه ومعنى يرجون اليوم الآخر: أنهم يرجون رحمة الله فيه أو يصدقون بحصوله وأنه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الأولى.[1]

وقال الله تعالى:

{ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}(الأحزاب:22)

وقال الشوكاني رحمه الله: ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الإشارة بقوله "هذا" إلى ما رأوه من الجيوش أو إلى الخطب الذي نزل والبلاء الذي دهم وهذا القول منهم قالوه استبشارا بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجيء هذه الجنود وإنه يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر والظفر من عند الله و "ما" في "ما وعدنا الله" هي الموصولة أو المصدرية ثم أردفوا ما قالوه بقولهم: وصدق الله ورسوله أي: ظهر صدق خبر الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما أي: ما زادهم ما رأوه إلا إيمانا بالله وتسليما لأمره، قال الفراء: ما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانا وتسليما، قال علي بن سليمان: "رأى" يدل على الرؤية وتأنيث الرؤية غير حقيقي والمعنى: ما زادهم الرؤية إلا إيمانا للرب وتسليما للقضاء.[2]

وقال الله تعالى:

{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا} (الأحزاب:23)

وقال الشوكاني رحمه الله: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أي: من المؤمنين المخلصين رجال صدقوا: أتوا بالصدق من صدقني إذا قال الصدق ومحل "ما عاهدوا الله عليه" : النصب بنزع الخافض والمعنى: أنهم وفوا بما عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة من الثبات معه والمقاتلة لمن قاتله بخلاف من كذب في عهده وخان الله ورسوله وهم المنافقون وقيل: هم الذين نذروا

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (4/311-312)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (4/312)

أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا له ولم يفروا ووجه إظهار الاسم الشريف والرسول في قوله: صدق الله ورسوله بعد قوله: ما وعدنا الله ورسوله هو قصد التعظيم كما في قول الشاعر: أرى الموت لا يسبق الموت شيء.

وأيضا لو أضمرهما لجمع بين ضمير الله وضمير رسوله في لفظ واحد وقال صدقا وقد ورد النهي عن جمعهما كما في حديث "بئس خطيب القوم أنت" لمن قال ومن يعصهما فقد غوى، ثم فصل سبحانه حال الصادقين بما وعدوا الله ورسوله وقسمهم إلى قسمين فقال: فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر،النحب: ما التزمه الإنسان واعتقد الوفاء به ومنه قول الشاعر:

عشية فرّ الحارثيون بعد ما قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر[1]،[2]

والنحب: يطلق على النذر والقتل والموت، قال ابن قتيبة: قضى نحبه: أي: قتل وأصل النحب: النذر، كانوا يوم بدر نذروا إن لقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله لهم فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه: أي قتل، والنحب أيضا: الحاجة وإدراك الأمنية يقول قائلهم: مالي عندهم نحب والنحب: العهد ومنه قول الشاعر:

لقد نحبت كلب على الناس أنهم أحق بتاج الماجد المتكرم

ومعنى الآية: أن من المؤمنين رجالا أدركوا أمنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا حتى قتلوا وذلك يوم أحد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر ومنهم من ينتظر قضاء نحبه حتى يحضر أجله كعثمان بن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم فإنهم مستمرون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال لعدوه ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة وجملة وما بدّلوا تبديلا معطوفة على صدقوا أي: ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم بل ثبتوا عليه ثبوتا مستمرا أما الذين قضوا نحبهم فظاهر وأما الذين ينتظرون قضاء نحبهم فقد استمروا على ذلك حتى فارقوا الدنيا ولم يغيروا ولا بدلوا.

وأخرج البخاري وغيره عن أنس قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" وأخرج ابن سعد وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي والبغوي في معجمه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر فشق عليه: وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أراني الله

([1]) إسم رجل (أنظر:تاج العروس للزبيدى:242/4)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (313/4)

مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع فشهد يوم أحد فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو إلى أين؟ قال: واها لريح الجنة أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه، وقد روي عنه نحوه من طريق أخرى عند الترمذي وصححه والنسائي وغيرهما، وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية، ثم قال: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله فأتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه" وقد تعقب الحاكم في تصحيحه الذهبي كما ذكر السيوطي ولكنه قد أخرج الحاكم حديثا آخر وصحّحه.

وأخرجه أيضا البيهقي في الدلائل عن أبي ذر قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد مر على مصعب بن عمير مقتولا على طريقه فقرأ: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية، وأخرج ابن مردويه من حديث خباب مثله وهما يشهدان لحديث أبي هريرة، وأخرج الترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن طلحة: "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل: سله عمن قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترءون على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إني اطلعت من باب المسجد فقال: "أين السائل عمن قضى نحبه" ؟ قال الأعرابي: أنا قال: "هذا ممن قضى نحبه" ، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من حديثه نحوه، وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "طلحة ممن قضى نحبه" ، وأخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى وأبو نعيم وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة" ، وأخرج ابن مردويه من حديث جابر مثله. وأخرج ابن منده وابن عساكر من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه. وأخرج أبو الشيخ، وابن عساكر عن علي أن هذه الآية نزلت في طلحة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال: الموت على ما عاهدوا الله عليه ومنهم من ينتظر الموت على ذلك، وأخرج أحمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن صرد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب "الآن نغزوهم ولا يغزونا" وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله: فمنهم من قضى نحبه

قال: مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان ومنهم من ينتظر ذلك وما بدلوا تبديلا لم يغيروا كما غير المنافقون.[1]

وقال الله تعالى:

{ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيماْ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً} (الاحزاب:24-25)

وقال الشوكاني رحمه الله: ليجزي الله الصادقين بصدقهم يجوز أن يتعلق بصدقوا أو بزادهم أو بما بدلوا أو بمحذوف كأنه قيل: وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء بما صدر عنهم من التغيير والتبديل جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بسبب تبديلهم وتغييرهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم فكل من الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها.

وردّ الله الذين كفروا وهم الأحزاب والمعنى: أن الله ردّهم بغيظهم لم يشف صدورهم ولا نالوا خيرا في اعتقادهم وهو الظفر بالمسلمين أو لم ينالوا خيرا أي خير بل رجعوا خاسرين لم يربحوا إلا عناء السفر وغرم النفقة "وكفى الله المؤمنين القتال" بما أرسله من الريح والجنود من الملائكة "وكان الله قويا عزيزا" على كل ما يريده إذا قال له كن كان عزيزا غالبا قاهرا لا يغالبه أحد من خلقه ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته.[2]

تاريخ الغزوة

ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أن غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة وقال الواقدي إنما وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري[3]، وقال ابن سعد إن الله استجاب لدعاء الرسول فهزم الأحزاب يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجره صلى الله عليه وسلم[4]، ونقل عن الزهري، ومالك بن أنس، وموسى بن عقبة، أنها وقعت سنة أربع هجرية.[5]

---

(1) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (314/4)

(2) أنظر: المصدر السابق: (313/4-314)

(2) أنظر: المغازى للواقدى: (441/2-442) دون إسناد.

(1) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: (70/2)

(2) أنظر: السيرة النبوية-عرض وقائع وتحليل أحداث،للصلابي: (592)

ويرى العلماء أن القائلين بأنها وقعت سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة، ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة وجزم ابن حزم أنها وقعت سنة أربع لقول ابن عمر إن الرسول صلى الله عليه وسلم رده يوم أحد –وهي في السنة الثالثة باتفاق– وهو ابن أربع عشر سنة[1]،[2] ولكن البيهقي[3]، وابن حجر[4] وغيرهما فسّروا ذلك بأن ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة وهو الموافق لقول الجمهور.[5]

وإلى ما ذهب إليه الجمهور وهو الراجح لديَّ مال ابن القيم حيث قال: وكانت سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين إذ لا خلاف أن أُحدًا كانت في شوال سنة ثلاث وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه من أجل جدب تلك السنة فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه.[6]

أسباب الغزوة

إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أجلى بني النظير من المدينة المنورة إلى خيبر خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين، فما أن استقروا بخيبر حتى أخذوا يرسمون الخطط للإنتقام من المسلمين، فاتفقت كلمتهم على التوجه إلى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين،وكونوا فهذا الغرض الخبيث وفدا يتكوّن من سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وابي عمّار.[7]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (4097) و مسلم برقم: (1868)

(2) أنظر:جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، لأبي محمد علي بن أحمدبن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري(المتوفى:456هـ)،تحقيق:إحسان عباس،الناشر:دار المعارف– مصر،الطبعة:1، 1900م: (ص185)

([3]) أنظر: دلائل النبوة للبيهقي: (395/3)

([4]) أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ العلامة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي،الناشر:دار المعرفة– بيروت،1379،(393/7)

([5]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي: (592)

([6]) أنظر: المصدر السابق: (592)

([7]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (561/1–562)

وقد نجح الوفد نجاحا كبيرا فى مهمته حيث واقفت قريش التى شعرت بمرارة الحصار الإقتصادى المضروب عليها من قبل المسلمين وواقفت غطفان طمعا فى خيرات المدينة وفى السلب والنهب وتابعتهم قبائل أخرى.

فلما دعوا قريشا وأتباعها إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان: يا معشر يهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد: أديننا خير أم دينه؟ فنحن عمار البيت ننحر الكوم ونسقي الحجيج ونعبد الأصنام، فقالت يهود: اللهم أنتم أولى بالحق منه إنكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم فأنتم أولى بالحق منه.[1]

وعن ذلك يقول الله تعالى:

{ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً} (سورة النساء:51-52)

ولا ريب فإن قريشا قد سرت بما سمعت من مدح لدينها فازدادت حماسا وأصبحت أكثر تصميما على حرب المسلمين ثم أعلنت موافقتها على هذه الدعوة والاشتراك في الحملة التي ستهاجم المدينة وضربت لها موعدا.[2]

ثم خرجت يهود إلى غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا معهم اتفاقية الإتحادى العربى الوثنى اليهودى العسكرى ضد المسلمين وكان أهم بنود هذا الاتفاق هو:

أ. أن تكون قوة غطفان في جيش الاتحاد هذا ستة آلاف مقاتل.

ب. أن يدفع اليهود لقبائل غطفان مقابل ذلك كل تمر خيبر لسنة واحدة.[3]

لقد استطاع وفد اليهود أن يرجع من رحلته إلى المدينة ومعه عشرة آلاف مقاتل أربعة آلاف من قريش وأحلافها وستة آلاف من غطفان وأحلافها وقد نزلت تلك الأعداد الهائلة بالقرب من المدينة.[4]

([1]) أنظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م: (363/4)، والمغازى للواقدى: (442/2)

([2]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابى: (593-594)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (594)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (594)

أحداث الغزوة

فلما سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – بمسيرهم إليه استشار أصحابه. فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة[1] فأعجب رأي سلمان المسلمين[2] وعند ما استقرالرأى على حفر الخندق وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ولذلك أشار به سلمان الفارسي وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري " منوشهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون إنه ابن إسحاق عليه السلام وأكثرهم يقول فيه هو ابن أثقيان وهو أول من اتخذ آلة " الرمي وإلى رأس ستين سنة من ملكه بعث موسى عليه السلام وقد تقدم ذكر الكمائن في الحروب وأن أول من فعلها بختنصر في قول الطبري.[3]

وذهب النبي صلى الله عليه وسلم هو وبعض أصحابه لتحديد مكانه واختار للمسلمين مكانًا تتوافر فيه الحماية للجيش فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرسًا له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار فارتاد موضعًا ينزله فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعًا خلف ظهره ويخندق من المذاد[4] إلى ذباب [5] إلى راتج[6] وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من مناعة جبل سلع[7] في حماية ظهور الصحابة.

كان اختيار تلك المواقع موفقًا؛ لأن شمال المدينة هو الجانب المكشوف أمام العدو والذي يستطيع منه دخول المدينة وتهديدها، أما الجوانب الأخرى فهي حصينة منيعة، تقف عقبة أمام أي هجوم يقوم به الأعداء.

([1]) أنظر: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام عبد الوهاب النجدى: (ص172)

([2]) أنظر: المغازى للواقدى: (445/2)

([3]) أنظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: (195/6)

([4]) اسم أطم لبني حرام من بني سلمة غربي مسجد الفتح، به سميت الناحية، وعنده مزرعة تسمّى بالمذاد.(أنظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩، (142/4)

([5]) ذباب: أكمة صغيرة فى المدينة يفصل بينها وبين جبل سلع ثنية الوداع.

([6]) راتج: الجبل الذي إلى جنب جبل بني عبيد غربي بطحان يقال له راتج.(أنظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى:78/4)

([7]) سلع: بفتح أوّله، وسكون ثانيه، السّلوع: شقوق في الجبال، واحدها سلع وسلع ، هو جبل بسوق المدينة.(أنظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، 236/3)

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق،فبادر إليه المسلمون،وعمل فيه بنفسه، وقال أبو سعيد الخدري: لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر في الخندق مع المسلمين، والتراب على صدره وبين عكنه ، وإنه ليقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا[1]

وهم ثلاثة آلاف[2] وكان في حفره من آيات نبوته[3] ما قد تواتر الخبر به فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة بهمة عالية لا تعرف الكلل فأعطى القدوة الحسنة لأصحابه حتى بذلوا ما في وسعهم لإنجاز حفر ذلك الخندق.[4]

عن رضي الله عنه، يقول: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبد

فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فأكرم الأنصار، والمهاجره. [5]

كان الصحابة رضى الله عنهم على قدر كبير من الأدب مع النبى صلى الله عليه وسلم،فكانوا يستأذنونه فى الإنصراف إذا عرضت لهم ضرورة، فيذهبون لقضاء حوائجهم، ثم يرجعون فيه من العمل رغبة فى الخيرواحتسابا له، فأنزل الله فيهم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور:62)

([1]) أنظر: المغازى للواقدى: (449/2)

(2) أنظر: السّيرة النّبويّة للإمام الحافظ أبي حاتم محمّد بن أحمد التميمي البستي المتوفى سنة 354 هـ صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء،الناشر:الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة– 1417هـ (256/1)

(3) ومن تلك الآيات أن كدية(الحجرالضخم الصلد) اعتاصت على المسلمين فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فضربها بالفأس ضربة طار منها الشرار وقطع منها الثلث وقال: "الله أكبر فتح قيصر والله إني لأرى القصور الحمر"، ثم ضرب الثانية فقطع منها الثلث الثاني وقال: "الله أكبر فتح كسرى والله إني لأرى القصور البيض"، ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقي وقال: "الله أكبر فتح اليمن والله إني لأرى باب صنعاء" وقد نصر الله عبده وصدق وعده والحمد لله رب العالمين.(أنظر: الدرر في اختصار المغازي والسير للحافظ يوسف بن عبد البر النمرى،تحقيق: الدكتور شوقى ضيف،الناشر:دار المعارف–القاهرة،الطبعة:الثانية،1403هـ،ص170)

(4) أنظر: السيرة النبوية–عرض وقائع وتحليل أحداث،للصلابي: (592)

(5) أخرجه البخارى فى صحيحه، برقم:(2961)

إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فبين سبحانه أن المستأذنين: هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم أولا بأن المؤمنين الكاملي الإيمان: هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان فإذا استأذنوك لبعض شأنهم أي: إذا استأذن المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض الأمور التي تهمهم فإنه يأذن لمن شاء منهم ويمنع من شاء على حسب ما تقتضيه المصلحة التي يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرشده الله سبحانه إلى الاستغفار لهم وفيه إشارة إلى أن الاستئذان إن كان لعذر مسوغ فلا يخلو عن شائبة تأثير أمر الدنيا على الآخرة إن الله غفور رحيم أي: كثير المغفرة والرحمة بالغ فيهما إلى الغاية التي ليس وراءها غاية.[1]

نقض اليهود من بنى قريظة العهد

كان المسلمون يخشون غدر يهود بني قريظة الذين يسكنون في جنوب المدينة فيقع المسلمون حينئذ بين نارين،اليهود خلف خطوطهم والأحزاب بأعدادهم الهائلة من أمامهم ونجح اليهودي زعيم بني النضير في استدراج كعب بن أسد زعيم بني قريظة لينضم مع الأحزاب لمحاربة المسلمين.[2] قال ابن حبان: وخرج حي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب بني قريظة فلم يزل يفتله حتى بايعه على ذلك.[3]

---

(1)أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني، (67/4)

(2) أنظر: السيرة النبوية–عرض وقائع وتحليل أحداث،للصلابي: (598)

(3) من الطبري والسيرة والعبارة فيهما كما يلي "وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك وعاقده فلما سمع كعب بحي بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حي: يا كعب! افتح لي قال: ويحك يا حي إنك أمر مشؤوم إني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أرمنه إلا وفاء وصدقا قال: ويحك افتح لي أكلمك قال: ما أنا بفاعل قال: والله إن أغلقت دوني إلا على جشيشتك أن آكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك فدعني ومحمدا وما أنا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة[1] وخوات بن جبير يستخبرون خبر كعب بن أسد أهم على وفاء أم لا، فمضوا إليه فسألوه فقال: لا عهد بيننا وبين محمد ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه.[2]

إرسال الجاسوس فى صفوف المشركين

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بحذاء المشركين بضعا وعشرين ليلة، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يأتيني بخبر القوم" ؟ فقال الزبير: أنا ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لكل نبي حواريا" وإن حواريّ الزبير، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل غير أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس أخو بني عامر وعكرمة بن أبي جهل المخزومي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وضرار بن الخطاب بن مرداس المحاربي ، قد تهيأوا للقتال وتلبسوا وخرجوا على خيلهم ومروا بمنازل كنانة ثم أقبلوا بخيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها! ثم أتوا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه وجالت في السبخة بين الخندق وسلع، فلما رآهم المسلمون خرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الموضع الذي منه اقتحموا وأقبلت الفوارس تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبدود فارس قريش وقد كان قاتل يوم بدر ولم يشهد أحدا فخرج عام الخندق معلما ليرى مشهده فلما وقف هو وخيله قال علي بن أبي طالب: يا عمرو! إني أدعوك إلى البراز ، قال: ولم يا ابن أخي؟ فو الله: ما أحب أن أقتلك! قال علي: لكني والله أحب أن أقتلك! فحمى عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه وعقره ثم أقبل إلى علي فتنازلا وتجاولا إلى أن قتله علي وخرجت خيله منهزمة من الخندق.[3]

إهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببث الإشاعات فى صفوف الأعداء

إن نعيم بن مسعود الأشجعي[4] أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله! إني أسلمت وإن قومي لا يعلمون بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنما أنت فينا

---

(1) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس ابن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجيّ الشاعر المشهوريكنى أبا محمدوكان أحد النقباء ليلة العق بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة.(أنظر: الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلا

(2) أنظر:السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان، (1/256-257)

(3) أنظر:المصدر السابق ، (1/257-258)

(4) نعيم" بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلا

سلمة الغطفاني الأشجعي أسلم زمن الخندق وهو الذي خذل الأحزا

خلافة=عثمان رضي الله عنهما.(أنظر: تهذيب التهذيب لأبي الفضل أح

العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،الطب

(466/10)،

رجل واحد فخذّل عنا فإن الحرب خدعة" ، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال: يا معشر قريظة إنكم قد عرفتم ودّي لكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت ، قال: فإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وإنهم ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم لا تقدرون على أن تتحولوا عنه وإن قريشا وغطفان إن وجدوا فرصة أشهروها وإن كان غير ذلك هربوا وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم على أن يقاتلوا مع القوم حتى تناجزوه، فقالوا: قد أشرت برأي ونصح، ثم خرج نعيم حتى أتى قريشا وأبا سفيان فقال: يا معشر قريش إنكم قد عرفتم ودي لكم قد رأيت أن حقا عليّ أن أبلغكموه وأنصح لكم فاكتموه عليّ ، قالوا: نفعل، قال: إن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم أن نعم فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون رهنا فلا تدفعوا إليهم.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت ، قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش في شأن بني قريظة وحذرهم مثل الذي حذرهم، فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر معه من رؤوس غطفان إلى بني قريظة فقالوا: لسنا بدار مقام قد هلك الكراع والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا أن غدا السبت وهو يوم لا نعمل فيه ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من أشرافكم يكونون عندنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى الحرب إن اشتدت أن تتشمروا إلى بلادكم وتتركونا، فلما رجع عكرمة إلى قريش وغطفان بما قالت بنو قريظة قالوا: والله إن الذي جاءكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة أنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة: إن الذي ذكر لنا نعيم لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فأرسلوا إلى قريش وغطفان أنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا، وبعث الله على المشركين ريحا تطرح آنيتهم وتكفأ قدورهم في يوم شديد البرد، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان، قال: "اذهب فادخل بين القوم وانظر ما يقولون ولا تحدثن شيئا حتى– تأتيني وذلك ليلا" ، فدخل حذيفة في الناس، وقام أبو سفيان بن حرب وقال: يا معشر قريش لينظر كل امرىء من جليسه؟ قال حذيفة: وأخذت رجلا إلى جنبي وقلت له: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار

مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله! ما يستمسك لنا بناء ولا تطمئن لنا قدور فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ثم قال حذيفة: ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا تحدث شيئا حتى تأتيني لقتلته بسهمي فرجع حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فسمعت غطفان بما صنعت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هو المسلمون ووضعوا السلاح.[1]

نتائج الغزوة

1. ظهرت خلال حفر الخندق معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، منها تكثير الطعام الذي أعده جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، فعن جابر رضى الله عنه، قال:

إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: "أنا نازل"، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله! ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: "كم هو" فذكرت له، قال: "كثير طيب، قال: قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي.

فقال: قوموا " فقام المهاجرون والأنصار فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم،فقال: "ادخلوا ولا تضاغطوا" فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: "كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة".[2]

([1]) أنظر:السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان، (1/259-262)

([2]) أخرجه البخارى فى صحيحه برقم: (4101)

2. فقال المهاجرون: سلمان منا وقالت الأنصار: سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلمان منا أهل البيت".[1]

3. الصلوة الوسطى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس".[2]

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث، وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي.[3]

4. أنشأ المسلمون أول مستشفى إسلامي حربي في غزوة الأحزاب فقد ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة عندما دارت رحى غزوة الأحزاب فأمر صلى الله عليه وسلم أن تكون رفيدة الأسلمية الأنصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي وبذلك أصبحت أول ممرضة عسكرية في الإسلام.[4]

([1]) أنظر: المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، برقم: (6040)

([2]) أخرجه البخارى فى صحيحه برقم: (4111)

([3]) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: (110/4)

([4]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابى: (616)

المطلب الثالث

غزوة بنى قريظة

ما ورد فى القرآن الكريم عن غزوة بنى قريظة وتفسير الشوكانى له

قال الله تعالى:

{وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً} (الأحزاب:26)

قال الشوكانى رحمه الله :

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أي: عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو قريظة فإنهم عاونوا الأحزاب ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاروا يدا واحدة مع الأحزاب، والصياصي جمع صيصية: وهي الحصون وكل شيء يتحصن به، يقال له صيصية ومنه صيصية الديك: وهي الشوكة التي في رجله وصياصي البقر: قرونها لأنها تمتنع بها.

وقذف في قلوبهم الرعب أي: الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي وهي معنى قوله: فريقا تقتلون وتأسرون فريقا فالفريق الأول هم الرجال والفريق الثاني هم النساء والذرية وهذه الجملة مبينة ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم، قرأ الجمهور "تقتلون" بالفوقية على الخطاب وكذلك قرءوا "تأسرون" وقرأ ابن ذكوان في رواية عنه بالتحتية فيهما، وقرأ اليماني بالفوقية في الأول والتحتية في الثاني، وقرأ أبو حيوة "تأسرون" بضم السين، وقد حكى الفراء كسر السين وضمها فهما لغتان، ووجه تقديم مفعول الفعل الأول وتأخير مفعول الفعل الثاني أن الرجال لما كانوا أهل الشوكة وكان الوارد عليهم أشد الأمرين وهو القتل كان الاهتمام بتقديم ذكرهم أنسب بالمقام.[1]

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا[2] بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (316/4)

(2) الاعتجار: أن يتعمم الرجل دون تلح أي لا يلقى شيئا تحت لحيته.

مؤذنا فأذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم، قال: يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا:يا أبا القاسم ما كنت جهولا، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي[1] على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم، ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة، نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، وتلاحق به الناس فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تأتوا بني قريظة، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب ابن أسد لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم

([1]) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد أحدا وما بعدها، وكان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورته أحيانا. (أنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، رقم: 1507)

([2]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (2/233-235)

وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال: فإذا أبيتم علي هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم.

فإن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما. قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر[1] أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس لنستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فول الله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو في بيت أم سلمة فقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك، قالت: فقلت مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك قال: تيب على أبي لبابة قالت قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، قال: فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت: يا أبا لبابة! أبشر فقد تاب الله عليك، قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه

([1]) اختلف فى اسمه، وقال ابن إسحاق: اسمه رفاعة بن المنذر بن زبير ابن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس كان نقيبا شهد العقبة وشهد بدرا. (أنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، رقم: 3149)

رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه. ثم إن ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضي نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه، وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة أي ذلك كان والله أعلم.[1]

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذاك إلى سعد بن معاذ[2]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب.[3]

فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون:

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (239-235/2)

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر، عدد الأجزاء: ٢٤: (246/20)

([3]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (239/2)

يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال: لقد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم،فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار وأما الأنصار فيقولون: قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، قال ابن هشام: حدثني بعض من أثق به من أهل العلم: أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا: يا محمد! ننزل على حكم سعد بن معاذ، قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ست مائة أو سبع مائة والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة.[1] , وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب! ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (2/240-241)

الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه،فقال جبل بن جوال الثعلبي:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغي العز كل مقلقل[1]

وروى عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله قالت: قلت لها: ويلك مالك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته، قالت: فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول: فو الله ما أنسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل.

وروى محمد ابن إسحاق عن الزهري أنّ الزبير بن باطا القرظي– وكان يكنى أبا عبد الرحمن– كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن! هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك, قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي, قال: إن الكريم يجزي الكريم, ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله! إنه قد كانت للزبير علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو لك فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك, قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هب لي امرأته وولده، قال: هم لك.

فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه سلم أهلك وولدك فهم لك, قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ما له, قال: هو لك.

فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك, قال: أي ثابت ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد؟ قال: قتل, قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل, قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا, عزال بن سموأل؟ قال: قتل, قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن

([1]) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: (125/4)

قريظة، قال:ذهبوا قتلوا؟ قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم فو الله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة، فقدمه ثابت فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله"ألقى الأحبة" قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا[1]، قال ثابت بن قيس فى لك:

وفت ذمتي أني كريم وأنني صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبر

وكان زبير أعظم الناس منة علي فلما شد كوعاه بالأسر

أتيت رسول الله كيما أفكه وكان رسول الله بحرا لنا يجري[2]

قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم، أن سلمى بنت قيس أم المنذر أخت سليط بن أخت سليط بن قيس– وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء– سألته رفاعة بن سموأل القرظي وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، قال: فوهبه لها فاستحيته، قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم[3] وللراجل من ليس له فرس سهم، وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وأخرج منها الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا.

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها، وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (2/240–243)

([2]) أنظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: (2/591)

([3]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (2/244)، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: (2/103)

لذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك.[1]

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا، قال ابن إسحاق حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي قال: حدثني من شئت من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرا بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد! من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات[2]، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أي: عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو قريظة فإنهم عاونوا الأحزاب ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاروا يدا واحدة مع الأحزاب، وقذف في قلوبهم الرعب أي: الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي وهي معنى قوله: فريقا تقتلون وتأسرون فريقا، فالفريق الأول هم الرجال والفريق الثاني هم النساء والذرية.[3]

وقال تعالى:

{وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً}: (الأحزاب:27)

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: واختلف المفسرون في تعيين هذه الأرض المذكورة فقال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل: إنها خيبر ولم يكونوا إذ ذاك قد نالوها فوعدهم الله بها، وقال قتادة: كنا نتحدث أنها مكة، وقال الحسن: فارس والروم، وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا.[4]

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (245/2)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (251/2)، و تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: (592/2)

([3]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (316/4)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (316/4)

المطلب الرابع

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق

كان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق من يهود بني النضير كثير التحريض على الدولة الإسلامية حتى إنه جعل لغطفان ومن حولها من قبائل مشركي العرب الجعل العظيم إن هي قامت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاع أمر أبي رافع وانتشر وكان ممن ألب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح تحريضه على دولة الإسلام من الأخطار التي يجب أن يوضع لها الحد.[1]

توجه السرية إلى خيبر ودخولها

واستأذن نفر من الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ذبا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وتشبها بالأوس فيما فعلوه من قتل ابن الأشرف فأذن لهم وكذلك كانوا رضي الله عنهم يتنافسون فيما يزلف إلى الله وإلى رسوله وكان ابن أبي الحقيق بخيبر فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة بن ربعي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ابن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدخلوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله، قال: وكان في علية لها إليها عجلة، قال: فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه.[2]

قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله! إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب.[3]

تنفيذ العقوبة بحق أبي رافع

فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله.[4]

([1]) أنظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي: (651)

([2]) أنظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس: (114/2)

([3]) رواه البخاري في صحيحه برقم: (4039)

([4]) رواه البخاري في صحيحه برقم: (4039)

ولمّا استأذنوا عليه فخرجت إليهم امرأة فقالت: من أنتم؟ فقالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفا أن يكون دونه محولة تحول بيننا وبينه، قال: وصاحت المرأة فنوهت بنا, قال: وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة, قال: ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل, قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قطني قطني أي: حسبي حسبي قال: وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت يده وثأ شديدا، ويقال: رجله فيما قال ابن هشام وغيره قال: وحملناه حتى نأتي منهرا من عيونهم فندخل فيه, قال: فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبون حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه يقضي بينهم، قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال: فوجدتها ورجال يهود حولها وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت قلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت تنظر في وجهه ثم قالت: غاظ وإله يهود فما سمعت كلمة ألذ إلى نفسي منها قال: ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هاتوا أسيافكم" فجئناه بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس: "هذا قتله أرى فيه أثر الطعام".[1]

دروس وعبر

1. إن كل أعضاء هذه السرية كانوا من الخزرج فقد حرصوا على أن ينافسوا إخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف، فقد كانوا كفرسي رهان في المسابقة في الخيرات فهم لا يتنافسون على اغتنام مظاهر الحياة الدنيا من المال والمناصب وإنما يتسابقون إلى الفوز بمرضاة النبي صلى الله عليه وسلم التي مآلها رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية.[2]

قال كعب بن مالك: وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار والأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين لا

([1]) أنظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس: 02/114-115)، و البداية والنهاية لابن كثير: (4/137-138)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: (6/104-105)

([2]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (653-654)

تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام، قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك.[1]

2. فائدة تعلّم لغة العدوّ فقد استطاع عبد الله بن عتيك أن يصعد إلى حصن أبي رافع وأن يخاطب امرأته وأن يدخل بيته مطمئنا، لأنه خاطبه بلغته لغة اليهود في ذلك الوقت ويؤخذ من ذلك استحباب تعلم لغة غير المسلمين لا سيما الأعداء منهم خاصة لأولئك العسكريين الذين يذهبون لمهمات استطلاعية تجمع أخبار العدو.[2]

3. عناية الله عز وجل بأوليائه المؤمنين فهذا الصحابي الجليل استمر بعون من الله تعالى يمشي ويبذل طاقته حتى بعد أن أصيبت رجله وكأنه لا يشكو من علة حتى إذا انتهت مهمته تماما وأصبح غير محتاج لبذل الجهد عاد إليه الألم وحمله أصحابه فلما حدث النبي صلى الله عليه وسلم خبره قال له: ابسط رجلك، قال: فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم اشتكها قط.[3]

4. وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان علىرسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة في محاربة المشركين وجواز إيهام القوم للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته. والله أعلم![4]

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (2/273-274)

([2]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (654)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (654) ، وصحيح البخارى، برقم: (4039)

([4]) أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: (7/345)، والسيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (654-655)

المبحث الثانى

أحداث السيرة النبوية فى السنة الخامسة من الهجرة

- المطلب الأول: حادثة الإفك
- المطلب الثانى: زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت الجحش وإبطال عادة التبنى
- المطلب الثالث: تسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بريحانة
- المطلب الرابع: وفد مزينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول

حادثة الإفك

حاك المنافقون فى غزوة بنى المصطلق حادثة الإفك بعد من فشل كيدهم فى المحاولة الأولى لآثارة النعرة الجاهلية فقد المت بالبيت النبوى هذه النازلة الشديدة والمحنة العظيمة التى كان القصد منها النيل من النبى صلى الله عليه وسلم ومن أهل بيته الأطهار.

هذا وقد جمع أهل المغازى والسير[1] على أن حادثة الإفك كانت فى أعقاب غزوة بنى المصطلق وتابعهم فى ذلك المفسرون[2] و المحدثون[3].

قال الإمام الشوكانى (رحمه الله تعالى) فى تفسير آية سورة النور:

{إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ} (النور :11)

أن سبب النزول هو ما وقع من أهل الإفك الذين تقدم ذكرهم في شأن عائشة رضي الله عنها وذلك أنها خرجت من هودجها تلتمس عقدا لها انقطع من جزع فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم فأقامت في ذلك المكان ومر بها صفوان بن المعطل وكان متأخرا عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا، فبرأها الله مما قالوه.

هذا حاصل القصة مع طولها وتشعب أطرافها فلا نطول بذكر ذلك، وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وأهل السنن الأربع وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم، قال الترمذي: هذا حديث حسن.[4]

قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج- يعني إلى سفر- أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودنونا

([1]) كانوا: الذهبى والواقدى والطبرى وابن سعد وغيرهم.

([2]) كان كثير، والطبرى وغيرهما.

([3]) كان حجر، والنووى.

([4]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (15/4)

من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل، فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت، حتى جاوزت الجيش- يعني لقضاء حاجتها- فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطّل السلمي من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمّرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولّى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول.[1]

إنتشار الدعاية بالمدينة

قالت عائشة رضى الله عنها: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبا بني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلّم ثم يقول: "كيف تيكم؟" ثم ينصرف، فذاك يريبا بني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت: أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك.

فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلّم ثم قال: "كيف تيكم" ؟ فقلت: أتأذن لي أن اتي أبويّ؟ وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبويّ فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟

([1]) أنظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – 1427هـ ، (2/258-259)

فقالت: يا بنية هوّني عليك، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، أو قد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.[1]

استشارة النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه عند تأخر نزول الوحي

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: "أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟" قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، فقال رسول الله وهو على المنبر:"يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا، لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي" . فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.[2]

آثار فتنة الإفك

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج– وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفّضهم حتى سكتوا وسكت.

فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح أبواي عندي، وقد بقيت ليلتين ويوما فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلّم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها.[3]

مفاتحة الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة، وجوابها له

وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأننا، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال:

([1]) أنظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة: (2/259–260)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (2/260–261)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (2/261)

"أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه" فلما قضى مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله، قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القران: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة– والله يعلم إني بريئة– لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر– والله يعلم أني منه بريئة– لتصدقني، والله ما أجد لكم ولي مثلا إلا قول أبي يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها.[1]

نزول الوحي ببراءة عائشة رضى الله عنها

قالت عائشة رضى الله عنها: فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان، من العرق وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي ينزل عليه، فلما سرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّي عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها "يا عائشة أما الله عز وجل فقد برّأك" فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل، وأنزل الله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ... العشر الايات كلها يعني إلى قوله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ}. فلما أنزل الله هذا في براءتي.[2] قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة يعني عنها ما قال، فأنزل الله: {ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم}: (النور:22)

قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

([1]) أنظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة: (262/2)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (262/2)

قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: "يا زينب ماذا علمت أو رأيت" ؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ما علمت إلا خيرا قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك".[1]

أهم الآداب والأحكام التى تؤخذ من آيات الإفك

أخذ العلماء من الآية التى نزلت فى حادثة الإفك أحكاما، وآدابا، من أهم ما يأتى:

1. تبرئة السيدة عائشة رضى الله عنها من الإفك بقرآن يتلى إلى آخر الزمان، قال تعالى:

{إن الذين جاؤ بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} (النور:11)

2. إن حكمة الله تعالى اقتضت أن ينزع الخير من ثنايا الشر فقد كان ابتلاء أسرة أبي بكر رضى الله عنه بحديث الإفك خيرا لهم ،حيث كتب لهم الأجر العظيم على صبرهم وقوة إيمانهم، قال تعالى:

{لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم} (النور:11)

3. الحرص على سمعة المسلمين وعلى حسن الظن فى ما بينهم ، قال تعالى:

{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين} (النور:12)

4. تكذيب القائلين بالإفك، قال تعالى:

{لولا جاؤ عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون} (النور:13}

5. بيان فضل الله على المؤمنين،ورأفته بهم، قال تعالى:

{ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم} (النور:14}

6. وجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، قال تعالى:

{لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} (النور:16}

7. النهى عن اقتراف مثل هذاالذنب العظيم، أو العودة إليه، قال تعالى:

([1]) أنظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة: (263/2) و صحيح البخاري– كتاب التفسير– سورة النور، صحيح مسلم– كتاب التوبة– باب حديث الإفك.

{يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنينْ ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيمْ} (النور:17-18)

8. النهى عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى:

{إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمونْ} (النور:19)

9. بيان فضل الله سبحانه و تعالى على عباده المؤمنين، ورأفته بهم، وكرر ذلك تاكيدا له، قال تعالى:

{ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم} (النور:20)

10. الحث على النفقة على الأقارب و إن أساؤوا ، قال تعالى:

{ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم} (النور:22)

المطلب الثانى

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضى الله عنها

أسمها ونسبها

زينب بنت جحش زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخت عبد الله بن جحش، وهي أسدية من أسد بن خزيمة وأمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي زينب بنت جحش بْن رئاب بْن يعمر بْن صبيرة بْن مرة بْن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بْن خزيمة [1]وتكنى أم الحكم، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتكنى أم الحكم.[2]

قالت عائشة رضى الله عنها عن زينب رضى الله عنها: ولم تكن امرأة خيرا منها في الدين، وأتقى لله تعالى، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد تبذلا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به إلى الله عز وجل.[3]

زواجها من زيد بن حارثة رضى الله عنه

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحطم تلك الفوارق الطبقية الموروثة فى الأمة الإسلامية من عادات الجاهلية، ليكون الناس سواسية كأسنان المشط،لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالى– وهم الذى جرى عليهم الرق ثم تحرروا، طبقة أدنى من طبقةومن الموالى كان زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اعتقه ثم تبناه، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج زيدا من شريفة من بنى أسد، وهى ابنة عمته زينب بنت جحش رضى الله عنها، ليبطل تلك الفوارق الطبقية بنفسه فى أسرته.

قال الإمام الشوكانى رحمه الله تعالى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، قالت: لست بناكحته، قال: بلى فانكحيه، قالت: يا رسول الله أؤامر نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا، قال: نعم، قالت: إذا لا أعصي

([1]) أنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر،(1849/4)

([2]) أنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، (126/7)

([3]) أنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر،(1851/4)

رسول الله قد أنكحته نفسي،[1] فأنكحها رسول الله صلّى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق إليها رسول الله صلّى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدّا من طعام وثلاثين صاعا من تمر.[2]

طلاق زيد بن حارثة بزينب رضى الله عنها

شاءت حكمة الله تعالى أن لايتوافق زيد و زينب فى زواجهما، وأصبحت حياة الزوجين لا تطاق، وصمم زيد على فراق زوجه زينب، وكان قبل ذلك يشتكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم استطاعته البقاء مع زينب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بإمساك وزجه مع تقوى الله فى شأنها، حتى أذن الله بالطلاق فطلقها زيد، وانفصمت العلاقة بينهما بعد أن قضى زيد وطره، وبعد أن مكث معها ما يقرب من سنة.

قال ابن كثير رحمه الله:

فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله يقول له: "أمسك عليك زوجك واتق الله".[3]

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضى الله عنها

فلما انقضت عدتها، قال رسول الله صلى الله عليه لزيد: ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك، ائت زينب فاخطبها علي، قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري، وقلت: يا زينب أبشري فإن رسول الله يخطبك ففرحت بذلك وقالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها وأنزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار، فذلك

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى (326/4)

(5)أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م: (48/8)

(6) أنظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

([2]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م ، (48/8)

قوله عز وجل: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالإعتاق وهو زيد بن حارثة أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وكانت ابنة عمة النبي صلى الله عليه.[1]

وهكذا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر ربه زينب بنت جحش رضى الله عنها بعد طلاق زيد لها وانقضاء عدتها، وكان زواج زواجه بزينب فى السنة الخامسة على المشهور، وفى زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب ومانزل فيه من القرآن وما واكبه من أحداث عظات وعبر وحكمة وقفنا عند بعضها، ويجدر بنا أن نتأمل فى بعض الدروس والعبر.

الحكمة من زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضى الله عنها

قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبنى مشبكة كاشتباك الرحم، فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم فأراهم أن حلائل الأدعياء غير محرمة عليهم.[2]

قال الإمام الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسير آية الأحزاب:

{ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل} (الأحزاب:4)

قوله: وما جعل أدعياءكم أبناءكم، ما جعل الأدعياء الذين تدعون أنهم أبناءكم أبناء لكم، والأدعياء جمع دعي، وهو الذي يدعي ابنا لغير أبيه، قولكم بأفواهكم أي: ليس ذلك إلا مجرد قول بالأفواه، ولا تأثير له، فلا تصير المرأة به أما، ولا ابن الغير به ابنا، ولا يترتب على ذلك شيء من أحكام الأمومة والبنوة. وقيل: الإشارة راجعة إلى الادعاء، أي: ادعاؤكم أن أبناء الغير أبناؤكم: لا حقيقة له، بل هو مجرد قول بالفم والله يقول الحق الذي يحق اتباعه لكونه حقا في نفسه لا باطلا، فيدخل تحته دعاء الأبناء لآبائهم وهو يهدي السبيل أي: يدل على الطريق الموصلة إلى الحق، وفي هذا إرشاد للعباد إلى قول الحق، وترك قول الباطل والزور ثم صرح سبحانه بما يجب على العباد من دعاء الأبناء للآباء فقال:أدعوهم لآبائهم للصلب، وانسبوهم إليهم ولا تدعوهم إلى غيرهم وجملة هو أقسط عند الله: تعليل للأمر بدعاء الأبناء للآباء.[3]

([1]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام الثعلبى، (49/8)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى، (301/4)

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:"أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: {ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله}: (الأحزاب:5)".[1]

{فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيماً} (الأحزاب: 5)

فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم أي: فهم إخوانكم في الدين، وهم مواليكم، فقولوا: أخي ومولاي، ولا تقولوا ابن فلان.[2]

وقد ذكر المبطلون من الكفار وفروخهم ومقلدوهم بما ينعقون به ويردده الجهال متعلقين بروايات مكذوبة خلاصتها كما يفترون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هوي زينب بنت جحش بعد أن تزوجت بزيد بن حارثة فلما علم زيد بذلك أراد طلاقها ليتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ،فهذا قول باطل، وقد نسف الإمام ابن العربي هذا القول من جذوره فقال: فأما قولكم: إن النبي صلى الله عليه وسلم رآها أي رأى زينب بنت جحش فوقعت في قلبه فباطل فإنه كان صلى الله عليه وسلم معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة وقد قال تعالى: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه} (طه:131) والنساء أفتن الزهرات فيخالف هذا في المطلقات فكيف في المنكوحات؟ ثم إن قوله تعالى: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه} (الأحزاب: 37) يعني من نكاحك لها وهو الذي أبداه لا سواه أقول: فلو كان الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حبه لها لأبداه الله تعالى وأظهره فتيقنا أن الذي أخفاه رسول الله من أمر زينب هو نكاحه إياها وليس ما تخيله المبطلون من حبه لها.[3]

([1]) رواه البخاري فى صحيحه، (أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه التحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، رقم الحديث: (4782)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني، (301/4)

([3]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (631)

المطلب الثالث

تسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بريحانة رضى الله عنها

وكانت ريحانة إحدى سبايا بني قريظة قد وقعت في سهم محمد، فعرض عليها الإسلام فأصرّت على يهوديتها وعرض عليها أن يتزوّجها فقالت: بل تتركني في ملكك فهو أخفّ عليّ وعليك، ولعل حرصها على اليهودية ورفضها الزواج يرجعان إلى عصبيتها لقومها، وما كان باقيا في نفسها من كراهية للمسلمين ولنبيّهم.[1]

ثم شرح الله صدره للإسلام فأسلمت بعد ذلك فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام.[2]

وقد اختلفت السير فيها: أضرب عليها الحجاب كما ضرب على نساء النبيّ، أم أنها ظلّت كسائر نساء العرب يومئذ لم يضرب عليها حجاب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من سباياهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها أن يتزوجها وضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك، فتركها، وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: "إن هذا لثعلبة بن سعيد يبشرني بإسلام ريحانة"، فجاءه قال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها.[3]

وكانت ريحانة بنت زيد من بني النضير متزوجة في بني قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها لنفسه صفيا وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسلم، فأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه فأرسل إلى ابن سعية فذكر له ذلك، فقال ابن سعية: فداك أبي وأمي، هي تسلم! فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها: لا تتبعي قومك، فقد رأيت ما أدخل عليهم حيي بن أخطب فأسلمي يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه،

([1]) أنظر: الكتاب: حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لمحمد حسين هيكل (ت ١٣٧٦هـ)، (ص 218)

([2]) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: (126/4)

([3]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: (30/8)

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال: إن هاتين لنعلا ابن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة! فسر بذلك[1]، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه.[2]

([1]) أنظر: المغازي للواقدي: (520/2)

([2]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: (30/8)

المطلب الرابع

وفد مزينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى رجب من السنة الخامسة من الهجرة النبوية قدم وفد مزينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عددهم أربع مأة رجل، وهذا الوفد يعتبر أول الوفود التى قدمت المدينة بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إليها كما روى ابن سعد عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال: كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة وذلك في رجب سنة خمس فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم، وقال: "أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم" فرجعوا إلى بلادهم.[1]

عن النعمان بن مقرن قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة من مزينة فلما أردنا أن ننصرف قال: "يا عمر زود القوم" فقال: ما عندي إلا شحا من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعا، قال: "انطلق فزودهم"، قال: فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى عليه فلما دخلنا إذا فيها تمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرة وقد احتمل منه أربعمائة رجل[2]، وقال ابن سعد فى حديث هشام: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من مزينة منهم خزاعي بن عبد نهم، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظن فأقام فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت فقال: "اذكر خزاعيا ولا تهجه"

فقال حسان بن ثابت رضى الله عنه.

ألا أبلغ خزاعيا رسولا بأن الذم يغسله الوفاء

وأنك خير عثمان بن عمرو وأسناها إذا ذكر السناء

وبايعت الرسول وكان خيرا إلى خير وأداك الثراء

فما يعجزك أو ما لا تطقه من الأشياء لا تعجز عداء

قال: وعداء بطنه الذي هو منه قال: فقام خزاعي، فقال: يا قوم قد خصكم شاعر الرجل فأنشدكم الله قالوا: فإنا لا ننبو عليك، قال: وأسلموا ووافدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فدفع رسول الله

([1]) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: (291/1)

([2]) أنظر: الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، لأبى أسماء محمد بن طه، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – دار سبل السلام – الفيوم، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م ، (273)

صلى الله عليه وسلم لواء مزينة يوم الفتح إلى خزاعي وكانوا يومئذ ألف رجل وهو أخو المغفل أبي عبد الله بن المغفل وأخو عبد الله ذي البجادين.[1]

([1]) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: (1/291-292)، وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد: (6/411-412)

المبحث الثالث

أهم التشريعات التى وردت فى خلال السنة الخامسة من الهجرة

- المطلب الأول: نزول فريضة الحجاب
- المطلب الثانى: الظهار
- المطلب الثالث: اللعان
- المطلب الرابع: نزول حكم التيمم

المطلب الأول

نزول فريضة الحجاب

الحجاب لغة واصطلاحاً

الحجاب جمعه: "حُجُب".

وفى اللغة: الحجاب هو الساتر، وحجب الشيء أى:ستره، وامرأة محجبة أى: امرأة قد سترت بستر، وجاء فى سورة مريم:

{واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سوياً} (مريم: 16-17)

اتخذت من دون أهلها حجابا يسترها عنهم لئلا يروها حال العبادة.[1]

وفى الإصطلاح: هو لباس يستر جسد المرأة، وهو أحد الفرائض الواجبة على المرأة فى الشريعة الإسلامية.

الأدلة من القرآن الكريم

الآية ثلاث وخمسون من سورة الأحزاب تسمى(آية الحجاب)؛ لأنها أول آية نزلت بشأن فرض الحجاب على أمهات المؤمنين ونساء المؤمنين، وكان نزولها فى شهر ذى القعدة سنة خمس من الهجرة، قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً} (الأحزاب: 53)

وقال الإمام الشوكانى رحمه الله:

عن أنس قال: "لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (387/3)

فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، {فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي} الآية.[1]

سبب نزولها

وسبب نزولها ما ثبت من حديث أنس رضى الله عنه فى صحيح البخارى: قال عمر: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب.

عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب قال: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي} الآية.[2]

([1]) أنظر: المصدر السابق: (344/4)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (344/4)، وصحيح البخارى، رقم الحديث: (146، و6240)، وصحيح مسلم، رقم الحديث: (2170)

المطلب الثاني

الظهار

الظهار لغة واصطلاحا

والظهار لغة: مصدر ظاهر وهو مفاعلة من الظهر ويستعمل في معان مختلفة راجعة إليه معنى ولفظا بحسب اختلاف الأغراض.[1]

وفي الإصطلاح: أن يشبه الرجل زوجه بامرأة محرمة عليه على التابيد أوبجزء منها يحرم عليه النظر إليه كاظهر، أو البطن، أو الفخذ، كان يقول: أنت عليّ كأمي، أو أختي، أو بنتي أو نحو ذلك، أو يقول: أنت عليّ كظهر أمي، أو كبطن أمي، فإذا قال لها ذلك، ولم يتبعه بالطلاق صار عائدا، ولزمته الكفارة بهذا العود.

أصل الظهار

كان الظهار في الجاهلية طلاقاً،[2] بل هو أشد أنواع الطلاق عندهم، لما فيه من تشبيه الزوجة بالأم التيّ تحرم حرمة على التأبيد، بل لا تجوز بحالٍ من الأحوال، وجاء الإسلام فأبطل هذا الحكم، وقد اتفق العلماء على حرمته فلا يجوز الإقدام عليه، لأنه كذب وزور وبهتان.[3]

الدليل من القرآن الكريم

قال الله تعالى:

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ} (المجادلة: 1-4)

([1]) أنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (220/5)

([3]) أنظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م (526/2)

قال الإمام الشوكاني رحمه الله:

تجادلك في زوجها أي: تراجعك الكلام في شأنه وتشتكي إلى الله، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت وكان به لمم ، فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك، وكان الظهار طلاقا في الجاهلية، وقيل: هي خولة بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة، والأول أصح، وقيل: هي بنت خويلد. وقال الماوردي: إنها نسبت تارة إلى أبيها، وتارة إلى جدها وأحدهما أبوها والآخر جدها، فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد.[1]

والآثار الواردة به: أن خولة أتت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله! طالت صحبتي مع زوجي ونفضت له بطني وظاهر مني؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبتي ونفضت له بطني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرمت عليه فجعل إذا قال لها: حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي، قال: فنزل الوحي وقد قامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فأومأت إليها عائشة أن اسكتي، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضى الوحي قال: ادعي زوجك فتلاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما} إلى قوله: (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) : أي يرجع فيه {فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا} : أتستطيع رقبة؟ قال: لا قال: {فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين} قال: يا رسول الله! إني إذا لم آكل في اليوم ثلاث مرات خشيت أن يعشو بصري؛ قال: {فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا} قال: أتستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال: لا يا رسول الله إلا أن تعينني، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطعم.[2]

وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، وكانت تحته ابنة عم له، يقال لها خويلة بنت خويلد، وظاهر منها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه، فأخبرته، فقال: يا خويلة ما أمرنا في أمرك بشيء، فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد سمع الله الآيات.[3]

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (217/5)

([2]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة، الطبعة: بدون تاريخ نشر، (219/23-220)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (221/23)

كفارة الظهار

كفارة الظهار تجب بالترتيب الآتى:

1) عتق رقبة مؤمنة.

2) فإن لم يجد صام شهرين متتبعين، ولايقطع التتابع الفطر فى العيدين، والحيض ونحوهما.

3) فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينا من قوة بلده، كل مسكين نصف صاع.

قال الله تعالى:

{وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ } (المجادلة: 3-4)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

قالت خولة: فقال لي: يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، ثم قرأ علي قد سمع الله قول التي تجادلك إلى قوله: عذاب أليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مريه فليعتق رقبة قلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق ،قال: فليصم شهرين متتابعين، قلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر، قلت: والله ما ذاك عنده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنا سأعينه بعرق من تمر، فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، فقال: قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا، قالت: ففعلت.[1]

حكم الظهار

الظهار محرم، لأنه قول منكر وزور،[2]وقول النبى صلى الله عليه وسلم لخولة بنت ثعلبة "ما أراك إلا قد حرمت عليه" ومحتمل أن يريد به تحريم الظهار.[3]

ويجب على من ظاهر من وزوجته أن يكفر كفارة الظهار قبل الوطىء، فإن وطىء قبل الكفارة فهو آثم، وعليه الكفارة، وعليه التوبة والإستغفار من قوله وفعله.

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (5/220-221)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (5/218)

([3]) أنظر: أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، (3/558)

المطلب الثالث

اللعان

اللعان لغةً واصطلاحاً

اللعان فى اللغة: من اللعن، واللعن من الطرد والإبعاد من الخير.[1]

وفى الإصطلاح: هو شهادات مؤكدات بأيمان من الجانبين (زوج وزوجة) مقرونة بلعن من الزوج وغضب من الزوجة عند الحاكم أو نائبه.

الدليل من القرآن الكريم

قال تعالى:

{والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقينْ} (النور:6)

والذين يرمون استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول، ويسمى هذا الشتم بهذه الفاحشة الخاصة: قذفا، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أي: يشهدون عليهن بوقوع الزنا منهن.[2]

قاذف امرأته إذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف، والمرأة بهذه الصفة مع العفة: صح اللعان بينهما، إذا قذفها بصريح الزنى، وهو أن يقول لها: يا زانية أو: زنيت أو رأيتك تزنين، وإذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة: حدّ كما في قذف الأجنبيات وما لم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان.[3]

سبب نزول الأية

قال الإمام الشوكانى رحمه الله تعالى:

وأخرج البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس "أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: البينة، وإلا حد في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل رسول الله صلى الله عليه

([1]) أنظر:مختار الصحاح، لمؤلف: زين الدين أبى عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، (ص 283)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (10/4)

([3]) أنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ (215/3)

وسلم يقول: البينة وإلا حد في ظهرك فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، ونزل جبريل فأنزل عليه "والذين يرمون أزواجهم" إلى آخر الآية.[1]

صفة اللعان

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا ولم يقم البينة فعليه حد القذف إلا باللعان، وصفة اللعان ان يبدأ الزوج، فيقول: أربع مرات: أشهد بالله إنى لمن الصادقين فيما رميت به زوجى هذه من الزنا يشير إليها إن كانت حاضرة، ويسميها

إن كانت غائبة، ثم يزيد فى الخمس: { أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين} (النور:7)

ثم تقول الزوجة أربعا: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا، ثم تزيد فى الخامسة: { أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين} (النور:9).[2]

الأحكام بعد ثبوت اللعان

إذا تم اللعان ثبتت خمسة أحكام:

1) سقوط حدّ القذف عن الزوج.

2) سقوط حدّ الرجم عن الزوجة.

3) الفرقة بين المتلاعنين.

4) التحريم المؤبد بينهما.

5) إنتفاء الولد إن وجد عن الزوج ولحوقه بالمرأة.[3]

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (13/4)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (8/4-9)

([3]) أنظر: المصدر السابق: (9/4-10)

المطلب الرابع

نزول حكم التيمُّم

التيمُّم لغةً واصطلاحاً

التيمم فى اللغة: القصد والتعمد، يقال: تيممت وتأممت، أي: تعمدت.[1]

وفى الإصطلاح: هو مسح الوجه واليدين بالتراب، وهو بديل عن الوضوء عند عدم وجود الماء أو تعذر استعماله من مرض أو نحوه، بنيّة استباحة الصلاة.[2]

أدلة التيمّم

أدلة التيمّم من القرآن

قال الله تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفوراً} (النساء: 43)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

قوله: {فتيمموا} ثبت في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضلنا الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء".[3]

{وإن كنتم مرضى أو على سفر إلى قوله بوجوهكم وأيديكم منه} من الصعيد {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج} أي ما يريد بأمركم بالطهارة بالماء أو بالتراب التضييق عليكم في الدين، {ولكن يريد ليطهركم} من الذنوب، وقيل: من الحدث الأصغر والأكبر، {وليتم نعمته عليكم} أي بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء أو بما شرعه لكم من الشرائع التي عرضكم بها للثواب {لعلكم تشكرون} نعمته عليكم فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين.[4]

([1]) أنظر: حلية الفقهاء، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ)،الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع –بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، (ص 59)

([2]) أنظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، لوهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م، (90/5)

([3]) أنظر: تفسير فتح القدير للشركانى: (545/1)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (23/2)

وقوله تعالى: {صعيدا} قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض {طيباً} طاهراً.[1]

سبب نزول الآية

عن عائشة قالت: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواء[2] ، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي وكنت استعرتها من أسماء، فصل، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالتماسه فالتمس، فلم يوجد، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتوا ليلتهم تلك، وأقاموا على النجاسة وليسوا على ماء وليس عندهم ماء، فأتى الناس أبا بكر، فقالوا: ألا ترى إلى عائشة حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء؟ فجاء أبو بكر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فعاتبني، وقال: ما شاء الله! وقال: قبحها الله من قلادة حبست الناس على غير ماء وقد حضرت الصلاة، ثم طعن بيده على خاصرتي فما منعني من التحريك إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واضعا رأسه على فخذي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله عز وجل آية التيمم.[3]

أخرج الحديث مالك من رواية عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه عن عائشة، وترجم البخاري هذه الآية في كتاب التفسير: حدثنا محمد قال: أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبها رجالا، فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء، فأنزل الله تعالى آية التيمم. قلت: وهذه الرواية ليس فيها ذكر للموضع، وفيها أن القلادة كانت لأسماء.

([1]) أنظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، (361/1)

([2]) هذا القول خلاف للجمهور كما ذكر صاحب بحر المحيط: قال الجمهور: نزلت بسبب عدم الصحابة الماء في غزوة المريسيع، حين أقام على التماس العقد.أنظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، (652/3)، والجامع لأحكام القرآن=تفسير قرطبي: (214/5).

([3]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (317/3)

وذكر النسائي من رواية علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة لها وهي في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانسلت منها وكان ذلك المكان يقال له الصلصل[1].[2]

شروط التيمّم

فأباح الله التيمّم لخمس شرائط:

1) دخول وقت الصلاة،فلا يجوز التيمم إلا بعد دخول وقت الصلاة وقد يجمع بالتيمم بين صلاتى فرض، هذا قول علىّ وابن عباس وابن حمزة. لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال:"فأينما أدركتكم الصلاة فتيمموا وصلوا"، وعن أبى إسحاق عن الحريث عن علىّ رضى الله عنه قال:"تيمموا لكل صلاة".[3]

2) والشرط الثانى من الشرائط المبيحة للتيمّم: طلب الماء، لأن التيمّم قبل الطلب لم يصح عند أكثر الفقهاء.

3) والشرط الثالث: إعوازه بعد طلبه، فأما إذا كان بينه وبين الماء من لص أو عدوٍ أو سبع أو جمل صائل أو نار ونحوها فهو عادم للماء، وكذالك إن كان عليه ضرر فى إتيانه أن يخاف على رحله إن كان غاب عنه، وكذالك إن كان الماء فى بئر ولم يمكنه الوصول إليه.

4) والشرط الرابع: العذر من مرض أو سفر لقوله: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ. والمرض على ثلاثة أضرب: مرض لايضر استعمال الماء معه، فلا يجوز التيمم معه، وضرب يخاف معه من استعمال الماء التلف فيجوز معه التيمم، وكذالك إن كان على ضرحه دم يخاف إن غسله التلف التيمّم، وأعاد إن قدر على غسل الدم، وضرب باستعماله الماء الزيادة فى العلة بطء البرء، والمتعين فيه أوجه:

أولا: أنه يجوز التيمّم، وهو مذهب أبو حنيفة.

ثانيا: أنه لايجوز فإن كانت الجراحة فى بعض جسده دون بعض، غسل ما لاضرر عليه وتيمّم، ولا يجزيه أحدهما دون الآخر، وقال أبوحنيفة: إذا كان أكثر بدنه لزمه الوضوء واستعمال الماء،

([1]) موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها نزل بها رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، يوم خرج من المدينة إلى مكّة عام الفتح.(أنظر: معجم البلدان للحموي:421/3)

([2]) أنظر:الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبى: (214/5)

([3]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (20/2-21)

ولم يجزه معه التيمّم ولا دونه، وإن كان أكثر بدنه جريحا يقط عنه فرض الوضوء والغسل ويجزيه التيمّم فى الجميع.[1]

5) والشرط الخامس: النية المكنونة.[2]

([1]) أنظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبى: (3/318-319)

([2]) أنظر:المصدر السابق: (3/319)

الفصل الثانى

أحداث السيرة النبوية فى السنة السادسة من الهجرة

- **المبحث الأول**

أهم الغزوات والسرايا فى السنة السادسة من الهجرة من خلال تفسير فتح القدير للشوكانى

- **المبحث الثانى**

أهم أحداث السيرة النبوية فى السنة السادسة من الهجرة

- **المبحث الثالث**

أهم التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

المبحث الأول

أهم الغزوات والسرايا فى السنة السادسة من الهجرة من خلال تفسير فتح القدير

- المطلب لأول : غزوة بنى لحيان
- المطلب الثانى : غزوة الغابة
- المطلب الثالث : سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
- المطلب الرابع : غزوة الحديبية

المطلب الأول

غزوة بني لحيان

تاريخ الغزوة و خروج الرسول إليها

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع[1] خبيب بن عدي[2] وأصحابه[3]، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم[4].[5]

([1]) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب حتى إذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحسن بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق وأن لا نقتل منكم أحدا، فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم: خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر.(أنظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيرلابن سيد الناس:58/2)

([2]) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبي بن عوف بن كلفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ،شهد بدرا واستشهد في عهد النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم.(أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني،رقم:2227)

([3]) وهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوى، وخالد بن البكير الليثى،وعاصم بن ثابت،وزيد بن الدثنة،وعبد الله بن طارق.

([4]) مختلف في اسمه فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري، وأما أهل العراق فسموه عمرا وأمه أم مكتوم: هي عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية من= السابقين المهاجرين، وكان ضريرا مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال وسعد القرظ وأبي محذورة مؤذن مكة، هاجر بعد وقعة بدر بيسير قاله ابن سعد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحترمه ويستخلفه على المدينة فيصلي ببقايا الناس. (أنظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)،الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨، (رقم:82)

([5]) أنظر: السيرة النبوية لان هشام: (279/2)

طريقة إليهم

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا في أصحابه[1]فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ثم على محيص[2] ثم على البتراء ثم صفق[3] ذات اليسار فخرج على بين[4] ثم على صخيرات اليمام[5] ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ[6] السير سريعا، حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان وغران واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرتهم ما أراد، قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان[7].

فأقام يوما أو يومين وبعث السرايا في كل ناحية فلم يقدروا على أحد ثم خرج حتى أتى عسفان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: إن قريشا قد بلغهم مسيري وأني قد وردت عسفان وهم يهابون أن آتيهم فاخرج في عشرة فوارس، فخرج أبو بكر فيهم حتى أتوا الغميم،ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق أحدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا يبلغ قريشا فيذعرهم[8] ويخافون أن نكون نريدهم وخبيب بن عدي يومئذ في أيديهم[9].فخافوا ان يكن قد جاء ليخلصه.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ودعائه

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد غاب أربع عشرة ليلة، وقال فى منصرفه إلى المدينة:" آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون". "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل،

([1]) أنظر: المغازى للواقدى: (536/2)

([2]) كذا فى شرح المواهب ومعجم البلدان.

([3]) صفق: عدل.

([4]) بين (بالكسر) كما ضبطه ياقوت فى معجمه، وبالفتح أو التحريك، كما ضبطه الزرقانى نقلا عن غيره : واد قرب المدينة.

([5]) صخيرات اليمام: منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر. وهو بين السيالة وقريش.

([6]) أغذ: أسرع.

([7]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (280/2)

([8]) أنظر: الذعر (بالضم): الخوف.

([9]) أنظر: المغازي للواقدى: (536/2)

اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكون ومن دعوة المظلوم ومن سوء المنظر في الأهل والمال".[1]

شعر كعب فى غزوة بنى لحيان، والحديث في غزوة بني لحيان، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك، فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق[2]

لقوا سرعانا يملأ السرب روعه أمام طحون كالمجرة فيلق[3]

ولكنهم كانوا وبارا تتبعت شعاب حجاز غير ذي متنفق[4]،[5]

([1]) أنظر: الأذكار النووية أو "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار" لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، المحقق: محيي الدين مستو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

(ص357)، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس: (119/2).

([2]) تناظروا: إنتظروا، والعصب: الجماعات.

([3]) السرعان: أول القوم، والسرب(بفتح السين) الطريق، والروع: الفزع، والطحون: الكتيبة تطحن كل ما تمر به، المجرة: نجوم كثير تختلط ضوءها فى السماء.

([4]) الوبار: جمع وبر،وهى دويبة على قدر الهرة تشبه بها العرب الضعيف. والشعاب: جمع شعب وهو المنخفض من الأرض. وحجاز: أرض مكة وما يليها. ويروى "حجان" بالنون أى معوجة، كما روى "حجار" وهو جمع حجر، وغير ذى منتفق:أى ليس له باب يخرج منه، وأصله من النافقاء، وهو أحد أبواب حجرة اليربوع.

([5]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (280/2–281)

المطلب الثانى

غزوة الغابة

تاريخ الغزوة و سببها

وكانت غزوة الغابة، ويقال: غزوة ذى قرد، وهو ماء على بريد من المدينة فى ربيع الأول. وقال ابن إسحاق: كانت بعد لحيان بليال،[1] وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الأربعاء، وغاب خمس ليال، ورجعوا ليلة الإثنين، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم.[2]

وسببها أن لقاح[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عشرين لقحة،[4] منها ما أصاب في ذات الرقاع ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد، وكانت ترعى البيضاء فقربوها إلى الغابة وكان الراعي يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب.

فاستأذن أبو ذر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى لقاحه، فكان أبو ذر يقول: عجبا لي! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لكأني بك" وأنا ألح عليه، فكان والله على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5]

ليلة السرح

لما كانت ليلة السرح جعلت سبحة فرس المقداد بن عمرو لا تقر ضربا بيديها وصهيلا، فيقول أبو معبد: والله إن لها لشأنا! فينظر آريها[6] فإذا هو مملوء علفا، فيقول: عطشى! فيعرض الماء عليها فلا تريده، فلما طلع الفجر أسرجها ولبس سلاحه وخرج حتى صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

([1]) أنظر: من البداية والنهاية لابن كثير: (286/3)

([2]) أنظر: المغازى للواقدى: (238/2)

([3]) اللقاح: اللإبل الحوامل ذوات الألبان.

([4]) أنظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت ١٣٤٥هـ)، الناشر: دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ (ص 158)

([5]) أنظر: المغازى للواقدى: (238/2)

([6]) محبس الدابة وعروة تثبت في حائط أو وتد تشد فيها الدابة (ج) أوار (أنظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة: 15/1)

الصبح فلم ير شيئا، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته، ورجع المقداد إلى بيته وفرسه لا تقر فوضع سرجه وسلاحه واضطجع، فأتاه آت فقال: إن الخيل قد صبّح بها.[1]،[2]

وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روحت وعطنت وحلبت عتمتها[3] وثمنا، فلما كان في الليل أحدق بنا عيينة في أربعين فارسا فصاحوا بنا وهم قيام على رءوسنا فأشرف لهم ابني فقتلوه وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم وشغلهم عني إطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا في أدبارها فكان آخر العهد بها، وجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته وهو يتبسم، فكان سلمة بن الأكوع يقول: غدوت أريد الغابة للقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أبلغه لبنها حتى ألقى غلاما لعبد الرحمن بن عوف كان في إبل لعبد الرحمن بن عوف، فأخطأوا مكانها واهتدوا إلى لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرني أن لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغار عليها عيينة بن حصن في أربعين فارسا، فأخبرني أنهم قد رأوا مددا بعد ذلك أمد به عيينة، قال سلمة: فأحضرت فرسي راجعا إلى المدينة حتى وافيت على ثنية الوداع[4] فصرخت بأعلى صوتي: يا صباحاه! ثلاثا، ثم خرج يشتدّ فى آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم وجعل يردهم بالنبل ويقول إذا رمى:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع[5]

ولحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيول عشاء، فقلت: يا رسول الله إن القوم عطاش وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا فلو بعثني فى مائة رجل استنقذت ما بأيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ملكت فأسجح[6]، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنهم ليقرون في غطفان.[7]

([1]) صبّح بها: أغير عليها صباحا (أنظر: المعجم الوسيط: 505/1)

([2]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (260/1)

([3]) والعتمة: ظلمة الليل، وكانت الأعراب يسمون الحلاب باسم الوقت. (أنظر:النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥، (180/3)

([4]) ثنية الوداع: عن يمين المدينة ودونها. (أنظر:معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: (1372/4)

([5]) الرضع: جمع راضع، وهو اللئيم، والمعنى اليوم يوم هلاك اللئام.

([6]) أى قدرت فسهل وأحسن العفو، وهو مثل سائر. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (342/2)

([7]) أنظر: المغازى للواقدى: (541/2)، والروض الأنف: (10/7)

القتلى من المشركين، ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي، أخو بني سلمة حبيب ابن عيينة بن حصن وغشاه برده ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين.[1]

تقسيم الفيء بين المسلمين

فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة.[2]

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (284/2)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (285/2)، أنظر: السيرة النبوية لابن كثير: (288/3)

المبحث الثالث

سريةعبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وكانت سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى كلب بدومة الجندل في شعبان من سنة ست، ليدعوا كلبا إلى الإسلام[1]،وعن هذه السرية حدثنا عبد الله بن عمر، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فقال: وتجهز فإني باعثك في سرية من يومك هذا أو من غد إن شاء الله، قال ابن عمر: فسمعت ذلك فقلت: لأدخلن فلأصلين مع النبي العداة فلأسمعن وصيته لعبد الرحمن بن عوف، قال: فغدوت فصليت فإذا أبو بكر وعمر وناس من المهاجرين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن: ما خلفك عن أصحابك؟ قال ابن عمر: وقد مضى أصحابه في السحر فهم معسكرون بالجرف وكانوا سبعمائة رجل، فقال: أحببت يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعلي ثياب سفري، قال: وعلى عبد الرحمن ابن عوف عمامة قد لفها على رأسه، قال ابن عمر: فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فأقعده بين يديه فنقض عمامته بيده ثم عممه بعمامة سوداء فأرخى بين كتفيه منها ثم قال: هكذا فاعتم يا ابن عوف! قال: وعلى ابن عوف السيف متوشحه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا، قال ابن عمر: ثم بسط يده فقال: يا أيها الناس اتقوا خمسا قبل أن يحل بكم ما نقض مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون وما نكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عليهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا ألبسهم الله شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض، قال: فخرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل فلما حل بها دعاهم إلى الإسلام فمكث بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، وقد كانوا أبوا أول ما قدم يعطونه إلا السيف، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان رأسهم، فكتب عبد الرحمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك وبعث رجلا من جهينة يقال {له} رافع بن مكيث وكتب يخبر النبي صلى الله عليه وسلم

([1]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (268/1)

أنه قد أراد أن يتزوج فيهم فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الأصبغ تماضر، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها ثم أقبل بها، وهي أم أبي سلمة[1] بن عبد الرحمن بن عوف.[2]

دروس وعبر

وفى هذه السرية دروس وعبر، منها:

1. تواضع النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه و شفقته عليهم، حيث ألبس عبد الرحمن بن عوف عمامته بيده، وهذا التواضع منه صلى الله عليه وسلم يرفع من معنويات الصحابة رضى الله عنهم، ويدفعهم إلى بذل المزيد من الطاقة فى سبيل خدمة هذا الدين، لأن التلاحم والمودّة بين القائد وجنوده من أهم عوامل نجاح العمل وتحقيق الأهداف.[3]
2. كان جيش عبد الرحمن بن عوف جيش مبادئ، وعقيدة فتحرك ضاربا فى الصحراء المترامية يحمل شرع الله إلى خلقه و هدى رسوله إلى أمته و هدفهم من هذا التحرك فى سبيل الله.
3. ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف عن الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها ونهاه عن الغدر فى العهود وعن قتل الولدان، وتلك نماذج من الأدب الإسلامى فى الجهاد.

([1]) وهي أول كلبية تزوجها قرشي فولدت له أبا سلمة. (أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: 269/1)

([2]) أنظر: المغازي للواقدى: (561/2)، والسيرة الحلبية: (256/3)

([3]) أنظر: التاريخ الإسلامى للحميدى: (184/6)

المطلب الرابع

غزوة الحديبية[1]

ما ورد فى القرآن الكريم من آيات عن غزوة الحديبية و تفسير الشوكانى له

قوله تعالى:

{كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب} (الرعد:30)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: وهم يكفرون بالرحمن قال: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشا كتب في الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، قالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه، وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم، فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم، فقال: لا، ولكن اكتبوا كما يريدون".[2]

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي:" اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله" فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: دعنا نقاتلهم، فقال:" لا ولكن اكتب ما يريدون" فنزلت، وقال ابن عباس: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:" اسجدوا للرحمن" قالوا وما الرحمن؟ فنزلت. (قل) لهم يا محمد: الذي أنكرتم، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.[3]

قوله تعالى:

{إنا فتحنا لك فتحا مبينا} (الفتح: 1)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

---

(1) بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء مشددة أو مخففة على خلاف،قال ياقوت: وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها. (أنظر: معجم البلدان للرومي الحموي: 229/2)، وكذلك قال ابن حجر: هي بئر سمي المكان بها.(فتح الباري لابن حجر العسقلانى:334/5)

(2) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (99/3)

(3) أنظر: تفسير قرطبى: (318/9)

"إنا فتحنا لك فتحا مبينا" اختلف في تعيين هذا الفتح فقال الأكثر: هو صلح الحديبية والصلح قد يسمى فتحا، قال الفراء: والفتح قد يكون صلحا ومعنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق، والصلح الذي كان مع المشركين بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله، قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام، قال الشعبي: لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس.[1]

عن مجمع بن جارية الأنصاري قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها حتى بلغنا كراع الغميم إذ الناس يهزون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ فقالوا: أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم إنا فتحنا لك فتحا مبينا، فقال رجل: إي رسول الله أو فتح هو؟ قال: إي والذي نفس محمد بيده، إنه لفتح.[2،3]

قوله تعالى:

{ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما}:(الفتح: 2)

قال الإمام الشوكاني رحمه الله:

عن أنس قال: لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية، قال: "لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي مما على الأرض[4] ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئا مريئا يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا، فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزا عظيما".[5]

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (53/5)

([2]) أنظر: سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧، برقم: (2736)

([3]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (55/5)

([4]) رواه مسلم في صحيحه برقم: (1786)

([5]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (56/5)

قوله تعالى:

{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما} (الفتح: 10)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

إن الذين يبايعونك يعني بيعة الرضوان بالحديبية فإنهم بايعوا تحت الشجرة على قتال قريش إنما يبايعون الله أخبر سبحانه أن هذه البيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم هي بيعة له كما قال: من يطع الرسول فقد أطاع الله وذلك لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة يد الله فوق أيديهم مستأنفة لتقرير ما قبلها على طريق التخييل في محل نصب على الحال، والمعنى: أن عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت.

وقال الكلبي: المعنى: إن نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة. وقيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، وقال ابن كيسان: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه أي: فمن نقض ما عقد من البيعة فإنما ينقض على نفسه لأن ضرر ذلك راجع إليه لا يجاوزه إلى غيره ومن أوفى بما عاهد عليه الله أي: ثبت على الوفاء بما عاهد عليه في البيعة لرسوله.[1]

قوله تعالى:

{لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا} (الفتح: 18)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة أي: رضي الله عنهم وقت تلك البيعة، وهي بيعة الرضوان، وكانت بالحديبية وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا، وروي أنه بايعهم على الموت.[2]

وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له وذلك حين نزل الحديبية فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (57/5)

([2]) رواه البخاري فى صحيحه برقم: (2800)

وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليهم ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته فحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكنه بايعنا على أن لا نفر.[1]

وفي الصحيحين من حديث جابر:"أنهم كانوا في بيعة الرضوان خمس عشرة مائة" وفيهما عنه أنهم كانوا أربعة عشرة مائة وفي البخاري من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب أنه سأله كم كانوا في بيعة الرضوان قال: خمس عشرة مائة فقال له: إن جابرا قال:كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله: وهم، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة.

وأخرج أبو داود عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة".[2،3]

قوله تعالى:

{هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليماً} (الفتح: 25)

قال الإمام الشوكاني رحمه الله:

([1]) أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: (22/225-226)

([2]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (5/59)

([3]) رواه أبو داؤد في سننه ،برقم: (4653)

هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام يعني كفار مكة، ومعنى صدهم عن المسجد الحرام: أنهم منعوهم أن يطوفوا به ويحلوا عن عمرتهم والهدي، ومنحره، وكان الهدي سبعين بدنة.[1]

تاريخ الغزوة وأسبابه

فى يوم الإثنين من ذى القعدة سنة 6 هـ[2]، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة متوجها بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة، وسبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فى منامه–وهو فى المدينة– وملخصا أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرما مؤديا للعمرة، وقد ساق الهدى معظما للبيت مقدسا له، ويدل على أن لها أصلا وذلك من القرآن و الحديث: قال الله تعالى:{لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً} (الفتح:27)

وقد ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية هو التساؤل الذي حصل حول الرؤيا،[3]فقد روى ابن جرير عن مجاهد ، قال: أري بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم؟[4]

و تحقيق رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا،هو صلح الحديبية عن أكثر المفسرين[5]، في رواية ابن إسحاق عن أحمد بسند حسن: "وقد كان المسلمون خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا[6].

فالآية ورواية ابن إسحاق تدل على أنه حصل للنبى صلى الله عليه وسلم رؤيا خرج المسلمون إثرها لهذه الغزوة.

فلمّا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وهو بالمدينة فاستبشروا به وفرحوا فرحا عظيما وقد طال عهدهم بمكّة والكعبة التي رضعوا لبان حبّها ودانوا بتعظيمها وما زادهم الإسلام إلّا ارتباطا

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (63/5)

([2]) أجمع أهل العلم على تاريخها دون خلاف.

([3]) أنظر: مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، لحافظ بن محمد عبد الله الحكمي، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: ١٤٠٦هـ: (23)

([4]) أنظر: جامع البيان فى تأويل القرآن للطبرى: (257/22)

([5]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكانى: (65/5)

([6]) أنظر: مرويات غزوة الحديبية: (172)

بها وشوقا إليها وقد تاقت نفوسهم إلى الطواف حولها وتطلّعت إليه تطلّعا شديدا، وكان المهاجرون أشدّهم حنينا إلى مكّة فقد ولدوا ونشؤوا فيها وأحبّوها حبا شديدا وقد حيل بينهم وبينها فلمّا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، تهيأوا لتلك الزيارة العظيمة.[1]

خروج المسلمين من المدينة

واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة الشريفة نميلة بن عبد الله الليثي أي وقيل ابن أم مكتوم، وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين، أي وقيل استخلف أبارهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبو رهم حافظا للمدينة.[2] وخرج صلى الله عليه وسلم بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه أم سلمة وأم عمارة[3] وأم منيع[4] وأم عامر الأشهلية[5] رضي الله عنهن ومعه المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب،[6]وخرج معه من المسلمين ألف و ست مأة،[7] ويقال ألف وأربع مأة ويقال ألف و خمس مأة وخمسة وعشرون رجلا[8] وساق معه الهدى[9] سبعين بدنة فيها جمل أبي جهل الذى غنمه يوم بدر وقدم عباد بن بشر أمامة طليعة فى عشرين

([1]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير – دمشق،الطبعة: الثانية عشرة – ١٤٢٥ هـ: (377)

([2]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (13/3)

([3]) هى نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن عنم بن مازن بن النجار وهي أم حبيب وعبد الله ابني زيد ابن عاصم، كانت قد شهدت بيعة العقبة وشهدت أحدا مع زوجها زيد بن عاصم ومع ابنيها حبيب و عبد الله. (أنظر: الإستيعاب لابن عبد البر، برقم: 4190)

([4])هى أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارية السلمية أم معاذ بن جبل، وكنيتها أم منيع، ذكر ابن إسحاق بسند صحيح عن كعب بن مالك أنها كانت مع من شهد العقبة مع السبعين هي ونسيبة بنت كعب. (أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى، برقم: 10807)

([5]) هى حواء بنت يزيد بن السكن. (أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى، برقم: 11069)

([6]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (13/3)

([7]) أنظر: المغازي للواقدى: (614/2)

([8]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، (276/1)

([9]) الهدى: ما يهدى إلى الحرم من النعم. (أنظر: المعجم الوسيط: 978/2)

فرسا من خيل المسلمين[1]، وليس معهم السلاح إلا السيوف فى القراب، فصلى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبدن فجللت[2] ثم أشعر[3] منها عدة- وهي موجهات إلى القبلة- في الشق الأيمن.[4]

وصول النبى صلى الله عليه وسلم إلى عسفان[5]

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أشيروا علي أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نأم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه".[6]

تجنّب النبى صلى الله عليه وسلم لقاء قريش

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قريشا تريد منعه عن البيت قال: أشيروا عليّ أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال صلى الله عليه وسلم: هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله ،فسلك بهم طريقا وعرا،[7] وسلك بهم ذات اليمين بين ظهري الخمش في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة وترك الطريق الرئيسي الذي يفضي إلى الحرم مارا بالتنعيم تركه إلى اليسار فلما رأى خالد قرة الجيش الإسلامي قد خالفوا عن طريقه انطلق يركض نذيرا لقريش. وسار رسول الله صلى الله

([1]) أنظر: غزوات الرسول وسراياه ابن سعد: (48)

([2]) من الجلال: وهو البسط، والأكسية ما تلبسه الدابة لتصان به. (أنظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الصفحات: ١٣٥٧، (ص: 978)

([3]) أشعر البدنة: أعلمها، وهو أن يشق جلدها، أو يطعنها حتى يظهر الدم. (أنظر: القاموس المحيط للفيروزآبادى: ص 416)

([4]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (275-276)

([5]) عسفان: بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون فعلان من عسفت المفازة وهو يعسفها وهو قطعها بلا هداية ولا قصد وكذلك كل أمر يركب بغير روية قال: سميت عسفان لتعسف السيل فيها كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها قال أبو منصور: عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة.(أنظر:معجم البلدان: 121/4)

([6]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبى: (55/9)

([7]) أنظر:السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (15/3-16)

عليه وسلم حتى إذا كان بثنية المرار بركت راحلته فقال الناس: حل حل فألحت فقالوا: خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم:"ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل" ثم قال: "والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها" ثم زجرها فوثبت به فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد[1] قليل الماء إنما يتبرضه[2] الناس تبرضا فلم يلبث أن نزحوه فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فو الله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا.[3]

السفارة بين رسول وقريش

بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حربا معهم وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين كما هو حق لغيرهم وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا أجئوا إليه وطمعا في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة.[4]

أوّلا:سفراء قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فبينا هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قال أحمد: حدثناه يحيى بن سعيد عن ابن المبارك وقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نجئ لقتال أحد لكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره، قال بديل: سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا

([1]) ثمد: حوض.

([2]) يتربض: يأخذ منه القليل.

([3]) أنظر: الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (ت ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى، عدد الصفحات: ٤٥٩، (ص:309)، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: (378)

([4]) أنظر: عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي: (662)

فإن شئتم نعرضه عليكم، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى قال: أو لست بالولد؟ قالوا: بلى قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا: ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال أبو بكر: امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذاك؟ قالوا: أبو بكر قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك كان عروة بن مسعود يمسك بلحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء المناقشة الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبة الذي كان قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف يحرسه وعلى وجهه المغفر فانتهر عمه وقرع يده بقائم السيف قائلا له: اكفف يدك عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم للذي يجري بين عروة المشرك وبين ابن أخيه المؤمن قال يا محمد؟ من هذا الذي أرى من بين أصحابك؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، كان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء، لقد فشل عروة في مفاوضاته ورجع محذرا قريشا من أن تدخل في صراع مسلح مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لهم: يا قوم والله لقد وفدت على الملوك وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي وإني والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد وأصحابه والله ما يشدون إليه النظر وما يرفعون عنده الصوت وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيفعل وما يتنخم وما يبصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء وقد حزرت القوم واعلموا إنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم وقد رأيت قوما ما يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم والله لقد رأيت نسيات معه وإن كن ليسلمنه أبدا على حال فروا رأيكم وإياكم وإضجاع الرأي فمادوه يا قوم اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح مع أني أخاف ألا تنصروا عليه رجل أتى هذا البيت

([1]) أنظر: السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، رقم الحديث:(18807)

معظما له معه الهدي ينحره وينصرف فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور لو غيرك تكلم بها للمناه ولكن نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل.[1]

ثم قال رجل من كنانة– اسمه الحليس بن علقمة–: دعوني آته، فقالوا: آته فلما أشرف على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثوها له واستقبله القوم يلبون فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فرجع إلى أصحابه فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت وما أرى أن يصدوا وجرى بينه وبين قريش كلام أحفظه.[2]

ثانيا: سفراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي على جمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم أنه إنما جاء معتمرا، فعقر الجمل عكرمة بن أبي جهل وأرادوا قتله فمنعه من هناك من قومه فرجع وأخبره بما صنعت قريش.[3]

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه أي فإن بني عمه يمنعونه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت إلا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته أي ولعل ذكر أبي سفيان من غلط بعض الرواة لما تقدم أنه لم يكن حاضرا بالحديبية، أي صلحها وأمر صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتي رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله وشيك، أي قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان.[4]

([1]) أنظر: عرض وقائع وتحليل أحداث: (664–665)

([2]) أنظر: الرحيق المختوم: (310)

([3]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (288/1)

([4]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون:(23/3)

إمتحان الحب والوفاء

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

وقال عثمان حين رجع وقال له المسلمون: أشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟ "بئس ما ظننتم بي والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بهارسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت".[2،3]

بيعة الرضوان

وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم فاستجاب الصحابة رضى الله عنهم وبايعوه على الموت،[4]سوى الجد بن قيس[5]، وفى رواية أن البيعة كانت على الصبر[6]، وفى رواية على عدم الفرار،[7] ولاتعارض فى ذلك لأن المبايعة على الموت تعنى الصبر وعدم الفرار، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بينما نحن جلوس قائلون إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهو عمر بن الخطاب "أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله" فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه.[8]

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (315/2)

([2]) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م: (259/3)

([3]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: (380)

([4]) رواه البخارى فى صحيحه ،برقم: (4169)، و مسلم فى صحيحه، برقم: (1860)

([5]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، (290/1)

([6]) رواه الترمذى فى سننه، برقم: (1594)

([7]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، (290/1)

([8]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (24/3)

وكان أول من بايعه أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم[1]، وبايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان فوضع يده على يده أي وضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال: اللهم إن هذه عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك، أي وفي لفظ قال: اللهم إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله.[2]

وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها:

{لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً} (الفتح:18)

العقد بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين وعرفت قريش حراجة الموقف فأسرعت إلى بعث سهيل بن عمرو لعقد الصلح وأكدت له ألايكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا، فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه عليه السلام قال: "قد سهل لكم أمركم أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل" فجاء سهيل فتكلم طويلا ثم اتفقا على قواعد الصلح وهي هذه.[3]

الرسول صلى الله عليه وسلم يرجع من عامه فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا معهم سلاح الراكب السيوف في القرب ولا تتعرض قريش لهم بأي نوع من أنواع التعرض، وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزآ من ذلك الفريق فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدوانا على ذلك الفريق.

من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه أي هاربا منهم رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد أي هاربا منه لم يرد عليه.[4]

أراد القوم الصلح وقال: اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا الكاتب وهو علي بن أبي طالب فقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم" فقال سهيل: أما "الرحمن" فو الله ما ندري ما هو ولكن اكتب:

([1]) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: (3/259-260)

([2]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (3/25)

([3]) أنظر: الرحيق المختوم: (312)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (312-313)

"باسمك اللهم" كما كنت تكتب فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتب باسمك اللهم".

ثم قال: "اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله" فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني رسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله" فأمر عليا أن يمحوها فقال علي: لا والله لا أمحوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرني مكانها" فأراه مكانها فمحاها.[1]

كراهية المسلمين الصلح والعودة إلى المدينة

وكان المسلمون يكرهون الصلح لأنهم خرجوا ولا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حلق رأسه وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة وعرف مع المعرفين فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فجعل الله عاقبة القضية خيرا فأسلم في الهدنة أكثر ممن كان أسلم من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية فإن الحرب كانت قد حجزت بين الناس، فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا ودخل في تلك الهدنة صناديد قريش الذين كانوا يقومون بالشرك وما يحدث عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأشباههما وفشا الإسلام في جميع نواحي العرب، وكانت الهدنة إلى أن نقضوا العهد اثنين وعشرين شهرا.[2]

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه وعظم ذلك على المسلمين لأنهم خرجوا وهم لا يشكون في دخول مكة والعمرة ولكن لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون.[3]

ثم رجع إلى المدينة، وفي مرجعه أنزل الله تعالى:

إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناًۙ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماًۙ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاًۙ (الفتح: 1– 3) قال عمر رضي الله عنه: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم".[4]

([1]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: (381–382)

([2]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (292/1)

([3]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي : (384)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (384–385)

ودلّت الحوادث الأخيرة على أنّ صلح الحديبية الذي تنازل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبول كلّ ما ألحّت عليه قريش ورأوا فيه انتصارا لهم ومكسبا وتحمّله المسلمون في قوّة إيمانهم وشدّة طاعتهم للرسول كان فتح باب جديد لانتصار الإسلام وانتشاره في جزيرة العرب بسرعة لم تسبق وكان بابا إلى فتح مكّة ودعوة ملوك العالم كقيصر وكسرى والمقوقس والنجاشيّ وأمراء العرب.[1]

نتائج غزوة الحديبية

1. إعترفت قريش فى هذه المعاهدة بكيان المسلمين فالمعاهدة دائماً لا تكون إلا بين ندين وكان لهذا الاعتراف أثره فى نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش الجحودى حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة.
2. دخلت المهابة فى قلوب المشركين والمنافقين وتيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام وقد تجلت بعض مظاهر ذلك فى مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.
3. أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه، يقول الزهرى: "ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة لم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل في هذين السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك.[2]
4. أمن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى، فكانت غزوة الخيبر بعد صلح الحديبية.
5. مفاوضات الصلح جعلت حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليه فهذا الحلس بن علقمة عند ما رأى المسلمين يلبّون رجع إلى أصحابه، قال: لقد رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت.
6. ساعد صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم وغيرهما يدعوهم إلى الإسلام.

([1]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: (385)

([2]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (322/2)، و فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ) الناشر: دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ: (337)

7. كان صلح الحديبية سببا ومقدمة لفتح مكة، يقول ابن القيّم: كانت الهدنة مقدمة بين يدى الفتح العظيم الذى أعزّالله به رسوله وجنده ودخل الناس به فى دين الله أفواجا.[1]،[2]

([1]) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: (275/3)

([2]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (353/3)، والسيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (683-684)

المبحث الثانى

أهم الأحداث السيرة النبوية فى السنة السادسة من الهجرة

- المطلب الأول : دعوة الملوك والأمراء
- المطلب الثانى : إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما
- المطلب الثالث : زواج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضى الله عنها

المطلب الأول

دعوة الملوك والأمراء

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له: إنهم لا يقبلون إلا وعليه خاتم فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة نقشه: محمد رسول الله وكان هذا النقش ثلاثة أسطر: محمد سطر رسول سطر والله سطر هكذا: محمد رسول الله.[1]،[2]

1. فقد وردت رواية صحيحة[3] تضمنت نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه مع دحية الكلبي إلى هرقل عظيم الروم[4] وأمره أن يدفع إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر وهو كما يلي:[5]

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين"و{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران: 64)[6].

([1]) أنظر: صحيح البخاري،برقم: (2938، 5877)

([2]) أنظر: الرحيق المختوم: (320)

([3]) أنظر: صحيح مسلم، برقم: (1773)

([4]) أنظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة: (344/1)

([5]) أنظر: والسيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (714)

([6]) رواه البخارى فى صحيحه، برقم: (7،2941) ، و مسلم فى صحيحه، برقم: (1773)

2. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل بكتاب إلى كسرى ملك الفرس مع عبد لله بن حذافة السهمى[1] وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزقه، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق.[2]

ونص الرسالة كما أوردها الطبرى كالتالى:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.[3]

وأمر كسرى باذان وهو حاكمه على اليمن بإحضاره فأرسل بابويه يقول له: إن ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله.[4]

3. أما كتاب إلى النجاشى ملك الحبشة فقد أرسله مع عمرو بن أمية الضمري[5]، وروى البيهقي عن ابن إسحاق نص كتاب كتبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي وهو هذا: هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد ألاإله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الإسلام فإني أنا رسوله فأسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة

([1]) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة، وأمه تميمة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة من السابقين الأولين،يقال: شهد بدرا. (أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني،برقم: (4641)

([2]) رواه البخارى فى صحيحه، برقم: (4424)، و السيرة النبوية لابن كثير: (507/3)،

([3]) أنظر: السيرة النبوية لابن كثير: (508/3)، وتاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، وفقه السيرة للغزالي: (360)

([4]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوى: (407)، و تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: (656/2)

([5]) هوعمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة الضمري أبو أمية صحابي مشهور، قال ابن سعد: أسلم حين انصرف المشركون من أحد وكان شجاعا وكان أول مشاهده بئر معونة فأسره عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأطلقه وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي في زواج أم حبيبة وإلى مكة فحمل خبيبا من خشبته وله ذكر في عدة مواطن وكان من رجال العرب جزأة ونجدة وعاش إلى خلافة معاوية فمات بالمدينة. (أنظر:الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، رقم: 5781)

سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون، فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك.[1]

ولما بلغ عمرو بن أمية الضمري كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي أخذه النجاشي ووضعه على عينه ونزل عن سريره على الأرض وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب.[2]

4. وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جريج بن متى[3] الملقّب بالمقوقس ملك المصرو الاسكندرية، واختار لحمل هذا الكتاب حاطب ابن أبي بلتعة رضى الله عنه.[4]

ونص الرسالة كما أورد محمد بن سعد فى طبقاته

"بسم الله الرحمن الرحيم" من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} (آل عمران: 64)، وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفع به إلى جارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"بسم الله الرحمن الرحيم" لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك.

([1]) أنظر: الرحيق المختوم: (320–321)، والسيرة النبوية لابن كثير: (41/2)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: (366/11)

([2]) أنظر: الرحيق المختوم: (322)، والسبرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (716)

([3]) أنظر: رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (ت ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى (147)

([4]) هو حاطب بن أبي بلتعة واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة حليف بني أسد وكنيته أبو عبد الله وقيل: أبو محمد وقيل: إنه من مذحج وهو حليف لبني أسد بن عبد العزى ثم للزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وقيل: بل كان مولى لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى كتابته يوم الفتح وشهد بدرا. (أنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، رقم: 1011)

ولم يزد على هذا ولم يسلم والجاريتان مارية وسيرين والبلغة دلدل بقيت إلى زمن معاوية رضى الله عنه،[1]

واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم مارية سرية له وهي التي ولدت له إبراهيم وأما سيرين فأعطاها لحسان بن ثابت الأنصاري.[2]

5. وأرسل أبا العلاء الحضرمى بكتابه إلى المنذر بن ساوى العبدى أمير البحرين بعد انصرافه من الحديبية فأسلم وأسلم معه جميع العرب بالبحرين ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام نص كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى برواية عروة بن الزبير وجاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو[3] وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية".[4]

6. وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامرى[5] بكتاب إلى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة، وهو كما يلى:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك".[6]

فلما قدم سليط على هوذة بهذا الكتاب مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد عليه ردا دون رد وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله والعرب تهاب مكاني

([1]) أنظر: زاد المعاد فى هدى خير العباد: (3/604-605)

([2]) أنظر: الرحيق المختوم: (322-324)، والطبقات الكبرى لابن سعد: (1/260-261)

([3]) أنظر: زاد المعاد فى هدى خير العباد: (3/604)

([4]) أنظر: الرحيق المختوم: (327-328)

([5]) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب العامري، وكان من المهاجرين الأولين ممن هاجر الهجرتين، وذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا ولم يذكره غيره فيهم وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي الحنفي وإلى ثمامة بن أثال الحنفي وهما رئيسا اليمامة.(أنظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، رقم: 2203)

([6]) أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: (3/607)

فاجعل لي بعض الأمر أتبعك وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه فقال: لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبى يقتل بعدي، فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال: أنت وأصحابك فكان كذلك.[1]

7. وبعث رسول الله ص شجاع بن وهب[2] أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، حين عودته والمسلمين من الحديبية، وقد تضمن نص الرسالة قوله: سلام على من اتبع الهدى وآمن به إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك.[3]

([1]) أنظر: الرحيق المختوم: (328)

([2]) هو شجاع بن وهب ويقال ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، ذكره ابن إسحاق في السابقين الأولين وفيمن هاجر إلى الحبشة وفيمن شهد بدرا.(أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، رقم: 3859)

([3]) أنظر:تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبر:(652/2)

المطلب الثانى

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما

وكان صلح الحديبية فتحا للقلوب دخل في الإسلام خالد بن الوليد الذي كان قائد الفرسان لقريش وبطل معارك عظيمة وقد سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم "سيف الله" وهو الذي أبلى في الله بلاء حسنا وفتح الله على يده الشام.

ودخل عمرو بن العاص– أحد كبار القادة والأمراء وفاتح مصر من بعد–.[1] قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس الثقفي قال حدثني عمرو بن العاص من فيه قال:لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا وإني قد رأيت أمرا فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم[2] فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.[3]

سواله النجّاشى فى قتل عمرو بن أمية الضمرى ورده عليه

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد، قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقي أهديت إلي من بلادك شيئا؟ قال قلت: نعم أيها الملك قد أهديت إليك أدما كثيرا، قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت له

([1]) أنظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: (388)

([2]) الأدم: أى: الجلد.

([3]) أنظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: (6/284–285)، و تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك. وصلة تاريخ الطبري: (3/30)، والمغازى للواقدى: (2/742)

أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله قال قلت: أيها الملك أكذاك هو؟ قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال نعم فبسط يده فبايعته: على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي.[1]

إجتماع عمرو وخالد على الإسلام

ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2] وإن الرجل لنبي أذهب والله فأسلم فحتى متى, قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقد منا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله! إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمرو! بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت، قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يحت[3] ما كان قبله وإن الهجرة تحت ما كان قبلها.[4]

([1]) أنظر: الروض الأنف: (285/6)، والسيرة النبوية لابن هشام: (277/2)

([2]) كذا فى شرح السيرة، وفى الأصول: "الميسم" قال أبو ذر: "ومعناه: تبين الطريق ووضح، وأصل المنسم: خف البعير ومن رواه الميسم فهو الحديدة التي توسم بها الإبل وغيرها والمنسم (بالنون) هو الصواب".(أنظر: تعليق السيرة النبوية لابن هشام: 278/2)

([3]) يحتّ: يسقط.

([4]) أنظر: الروض الأنف: (286/6)، والسيرة النبوية لابن هشام: (277/2)، وقصة خالد بن الوليد فى الخصائص الكبرى: (411/1)

المطلب الثالث

زواج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضى الله عنها

هى هند بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشية الأموية وأخوها لأبويها حنظلة بن أبي سفيان قتله علي يوم بدر كافرا أمهما صفية بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان بن أبي العاص، هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فولدت له هناك حبيبة فكنيت بها[1] وهي ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت في حجره رضي الله تعالى عنها[2] وتنصر زوجها عبيد الله وارتد عن الإسلام ومات على ذلك بأرض الحبشة[3] وثبتت أم حبيبة على الإسلام.

واختلف فى وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها وموضع العقد، فقيل: إنه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست فروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو ابن أمية الضمرى إلى النجاشى ليخطبها عليه فزوجها إياه وأصدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة، وروى أن النجاشى أرسل إليها جاريته "أبرهة"، فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجك منه وأنها أرسلت إلى خالد ابن سعيد بن العاصى فوكلته وأعطت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشى فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد ألاإله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدى القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسوله صلى الله عليه

([1]) أنظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين (ت ٧٦٧هـ)،المحقق: سامي مكي العاني، الناشر: دار البشير – عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م: (ص 101)

([2]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (451/3)

([3]) أنظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ)،تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م: (ص 259)

وسلم فيها، ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاصى فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.[1]

قال أبو عمر: واختلف فيمن زوجها فروى أنه سعيد بن العاصى وروى عثمان بن عفان وهى ابنة عمته، وذكر البيهقى أن الذى زوجها خالد ابن سعيد بن العاصى وهو ابن ابن عم أبيها لكن إن صح التاريخ المذكور فلا يصح أن يكون عثمان هو الذى زوجها فإنه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة.[2]

وبعثها النجاشى مع شرحبيل ابن حسنة وجهزها من عند ذلك فى سنة ست وقيل فى سنة سبع ،وقيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من أرض الحبشة تطبيبا لخاطره،[3] والمشهور أنه تزوجها وهي بأرض الحبشة،[4] وماتت بالمدينة في ولاية معاوية رضى الله عنه أخيها،[5] سنة أربع وأربعين وقيل: سنة اثنتين وأربعين.[6]

([1]) أنظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ)،الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر: (500/1)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (500/1)

([3]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (451/3)

([4]) أنظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (102)

([5]) أنظر: المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، للحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبي محمد، بدر الدين الحلبي (ت ٧٧٩هـ)،المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: دار الحديث - القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: (106)

([6]) أنظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: (501/1)

المبحث الثالث

أهم التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

- المطلب الاول :نزول آية الفدية
- المطلب الثانى :صلاة الخوف
- المطلب الثالث :حرمت المسلمات وطلاق الكوافر

المطلب الاول

نزول آية الفدية

قال كعب بن عجرة رضي الله عنه: وقف عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت[1] قملا فقال: "أيؤذيك هوامك"[2]، قلت: نعم، قال: "فاحلق رأسك" أو قال: "احلق"، قال: فنزلت هذه الآية: (فَمَن كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق بين ستة أو انسك[3] بما تيسر"،[4] وفي رواية مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وهو يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك هذا؟ قال نعم، قال: فاحلق رأسك وأطعم فرقًا بين ستة مساكين (والفرق ثلاث أصع) أو صم ثلاثة أيام أو انسك نسيكة،[5] وآية البقرة المذكورة تبين حكم من كان محرمًا وبه أذى من رأسه وهي نزلت في كعب بن عجرة خاصة، وأصبحت لكل مسلم يمر بنفس الحالة.[6]

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله:

ومعنى الآية: أن من كان مريضا أو به أذى من رأسه فحلق فعليه فدية، وقد بينت السنة ما أطلق هنا من الصيام والصدقة والنسك فثبت في الصحيح: أن رسول الله رأى كعب بن عجرة وهو محرم وقمله يتساقط على وجهه، فقال: "أيؤذيك هوام رأسك"؟ قال: نعم، فأمره أن يحلق ويطعم ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام" وحكي عن الجمهور: أن الصوم المذكور في الآية ثلاثة أيام والإطعام لستة مساكين، وروي عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا: الصوم في فدية الأذى عشرة أيام والإطعام عشرة مساكين، والحديث الصحيح المتقدم يرد عليهم ويبطل قولهم.

واختلفوا في مكان هذه الفدية فقال عطاء: ما كان من دم فبمكة وما كان من طعام أو صيام فحيث شاء، وبه قال أصحاب الرأي، وقال طاوس والشافعي: الإطعام والدم لا يكونان إلا بمكة والصوم حيث شاء، وقال مالك ومجاهد: حيث شاء في الجميع وهو الحق لعدم الدليل على تعيين المكان.[7]

([1]) يتهافت: أي: يتساقط: (أنظر: النهاية : 266/5)

([2]) الهوام: جمع هامة، وهي ما يدب من الأخشاش،والمراد: القمل.

([3]) انسك : أي: اذبح.

([4]) رواه البخاري في صحيحه،برقم: (1815)

([5]) رواه مسلم في صحيحه، برقم: (1201)

([6]) أنظر: السيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (690)

([7]) أنظر: فتح القدير للشوكاني: (225/1-226)

ويقال إن كعب بن عجرة أهدى بقرة قلدها وأشعرها.[1]

(1) أنظر: المغازي للواقدي: (578/2)، و إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (278/1)

المطلب الثاني

صلاة الخوف

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبي صلى الله عليه وسلم عقدت مجلسا استشاريا قررت فيد صد المسلمين عن البيت كيفما يمكن فبعد أن أعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأحابيش نقل إليه رجل من بني كعب أن قريشا نازلة بذي طوى وأن مائتي فارس في قيادة خالد بن الوليد مرابطة بكراع الغميم في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة، وقد حاول خالد صد المسلمين فقام بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان،[1] أنه قد صفت إلى جهة القبلة، فحانت صلاة الظهر.

فأذن بلال رضي الله عنه وأقام فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصف الناس خلفه فركع بهم وسجد ثم سلم، فقال المشركون:لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟، وفي لفظ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن تأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم: أي التي هي صلاة العصر.[2]

عن أبي عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ثم ذكر صفة الصلاة التي صلوها مع النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

فقد أخرج الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن سالم عن أبيه في قوله سبحانه: فأقمت لهم الصلاة هي صلاة الخوف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مقبلة على العدو ثم انصرفت التي صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا مقام أولئك مقبلين على العدو وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ثم سلم بهم ثم قامت كل طائفة فصلوا ركعة ركعة فتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل من الطائفتين ركعتان ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وركعة بعد سلامه.[4]

([1]) أنظر: الرحيق المختوم: (309)

([2]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (3/14-15)

([3]) أنظر: فتح القديرللشوكاني: (1/588)

([4]) أنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: (3/130)

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: هذه أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوف، وقال سفيان بن سعيد عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي: أنه كان يعني ابن عباس مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى هكذا، وذكر أبو عياش أنها أول ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف.[1]

كيفية صلاة الخوف

اختلف العلماء فى كيفية صلاة الخوف لأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف على ضروب مختلفة:

فقال أبو حنيفة ومحمد تقوم طائفة مع الإمام وطائفة بإزاء العدو فيصلي بهم ركعة وسجدتين ثم ينصرفون إلى مقام أصحابهم ثم تأتي الطائفة الأخرى التي بإزاء العدو فيصلي بهم ركعة وسجدتين ويسلم وينصرفون إلى مقام أصحابهم ثم تأتي الطائفة التي بإزاء العدو فيقضون ركعة بغير قراءة ويتشهدون ويسلمون ويذهبون إلى وجه العدو ثم تأتي الطائفة الأخرى فيقضون ركعة وسجدتين بقراءة".[2]

فقال الشافعي: إذا صلى في سفر صلاة الخوف من عدو غير مأمون صلى الإمام بطائفة ركعة وطائفة فجاءه العدو فإذا فرغ العدو قام فلبث قائما وأطال وأتم الطائفة للركعة التي بقيت عليها يقرأ بأم القرآن وسورة ويخفف ويسلم وينصرف فيقف وجاءه العدو ويأتي الطائفة الأخرى فيصلي بها الإمام الركعة الثانية التي بقيت عليه فيقرأ فيها بعد إتيانهم بأم القرآن وسورة قصيرة ويثبت جالسا وتقوم الطائفة تتم لنفسها الركعة التي بقيت عليها بأم القرآن وسورة قصيرة ثم تجلس مع الإمام كل واحدة منهما مع إمامها ما أحدثت الأخرى منه.

واحتج بقول الله تعالى، {وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفةٌ} الآية[3]: (النساء:102) فإن كانت صلاة المغرب فإن صلى ركعتين بالطائفة الاولى فيثبت قائما وأتموا لأنفسهم فحسن وإن ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم (فجائز) ثم يأتي بالطائفة الأخرى فيصلي بها بقي عليه ثم يثبت جالسا حتى يقضي ما بقي عليها ثم يسلم بهم.

([1]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (282/1)، و السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (15/3)

([2]) أنظر: أحكام القرآن للجصاص: (322/2)

([3]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبى: (375/3)

قال: وإن كانت صلاة حضر فلينتظر جالسا في الثانية أو قائما في الثالثة حتى يتم الطائفة التي معه، ثم تأتي الطائفة الأخرى فيصلي بها كما وصفت الأخرى.[1]

قال: وإن كان العدو قليلا من ناحية القبلة والمسلمون كثير يأمنوهم في مستوى لا يسترهم شيء إن حملوا عليهم زادهم صلى بهم الإمام جميعا وركع وسجد بهم جميعا إلا صف عليه أو بعض صف الوراء وإذا قاموا بعد السجدتين سجد الذين حرسوا.

وإذا ركع ركع بهم جميعا وإذا سجد سجد معه الذين حرسوا أولئك إلا صفا أو بعض صف يحرسونهم فيهم فإذا سجدوا سجدتين وجلسوا سجد الذين يحرسونهم ثم يتشهد ويتشهدون ثم يسلم بهم جميعا معا وقال: وهو تأخر منهم يحرسونهم إلى الصف الثاني.

ويقدم الثاني فحرسوا فلا بأس، وهذا نحو صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عسفان.[2]

وقال ابن أبي ليلى: "إذا كان العدو بينهم وبين القبلة جعل الناس طائفتين فيكبر ويكبرون ويركع ويركعون جميعا معه وسجد الإمام والصف الأول ويقوم الصف الآخر في وجوه العدو فإذا قاموا من السجود سجد الصف المؤخر فإذا فرغوا من سجودهم قاموا وتقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم فيصلي بهم الإمام الركعة الأخرى كذلك وإن كان العدو في دبر القبلة قام الإمام ومعه صف مستقبل القبلة والصف الآخر مستقبل العدو فيكبر ويكبرون جميعا ويركع ويركعون جميعا ثم يسجد الصف الذي مع الإمام سجدتين ثم ينقلبون فيكونون مستقبلي العدو ثم يجيء الآخرون فيسجدون ويصلي بهم الإمام جميعا الركعة الثانية فيركعون جميعا ويسجد الصف الذي معه ثم ينقلبون إلى وجه العدو ويجيء الآخرون فيسجدون معه ويفرغون ثم يسلم الإمام وهم جميعا".[3]

قال أبو بكر: وروي عن أبي يوسف في صلاة الخوف ثلاث روايات إحداها مثل قول أبي حنيفة ومحمد والأخرى مثل قول ابن أبي ليلى إذا كان العدو في القبلة وإذا كان في غير القبلة فمثل قول أبي حنيفة، والثالثة أنه لا تصلي بعد النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بإمام واحد وإنما تصلى بإمامين كسائر الصلوات.[4]

وقال مالك: "يتقدم الإمام بطائفة وطائفة بإزاء العدو فيصلي بهم ركعة وسجدتين ويقوم قائما وتتم الطائفة التي معه لأنفسها ركعة أخرى ثم يتشهدون ويسلمون ثم يذهبون إلى مكان الطائفة التي لم تصل

([1]) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: (376/3)

([2]) أنظر: المصدر السابق: (376/3)

([3]) أنظر: أحكام القرآن للجصاص: (322/2)

([4]) أنظر: المصدر السابق: (322/2)

فيقومون مكانهم وتأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم ركعة وسجدتين ثم يتشهدون ويسلم ويقومون فيتمون لأنفسهم الركعة التي بقيت" قال ابن القاسم: كان مالك يقول: "لا يسلم الإمام حتى تتم الطائفة الثانية لأنفسها ثم يسلم بهم" لحديث يزيد بن رومان، ثم رجع إلى حديث القاسم وفيه أن الإمام يسلم ثم تقوم الطائفة الثانية فيقضون، وقال الشافعي مثل قول مالك إلا أنه قال: "الإمام لا يسلم حتى تتم الطائفة الثانية لأنفسها ثم يسلم بهم".[1]

([1]) أنظر: المصدر السابق: (2/322-323)

المطلب الثالث

حرمت المسلمات وطلاق الكوافر

قوله تعالى

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَسْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الممتحنة:10)

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين فلما هاجر إليه النساء أبى الله أن يردون إلى المشركين وأمر بامتحانهن، فقال: فامتحنوهن أي: فاختبروهن، وقد اختلف فيما كان يمتحن به، فقيل: كن يستحلفن بالله ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة من أرض إلى أرض ولا لالتماس دنيا بل حبا لله ولرسوله ورغبة في دينه فإذا حلفت كذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها إليه، وقيل: الامتحان هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقيل: ما كان الامتحان إلا بأن يتلو عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية، وهي: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى آخرها.[1]

وفي الآية أن الكافر لا يحل له نكاح المسلمة بحال وأن إسلامها تحته يفسخ النكاح لأنه جعل عدم الإرجاع مرتباً على الإيمان لا على اختلاف الدار.[2]

ويقال: إن أميمة بنت بشر الأنصارية ثم من بني عمرو بن عوف كانت تحت حسان بن الدحداح [3](أو ابن الدحداحة) وهو يومئذ مشرك ففرت من زوجها بمكة وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد الإسلام فهم أن يردها إلى زوجها حتى أنزل الله تعالى: فامتحنوهن، ثم زوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت له عبد الله بن سهل.[4]

([1]) أنظر: فتح القدير للشوكانى: (256/5)

([2]) أنظر: الإكليل في استنباط التنزيل، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م (260)

([3]) أنظر: هو ابن الدحداح أو ابن الدحداحة، مات فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه.(الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى،رقم:1712)

([4]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (303/1)

و معنى قوله تعالى: (فامتحنوهن) قال ابن عباس رضى الله عنه: كان إمتحانهن أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقوله تعالى: {فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن} أي لم يحل الله مؤمنة لكافر ولا نكاح مؤمن لمشركة، وهذا أدل دليل على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامها لا هجرتها.[1]

ثم قال تعالى:{وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن}أى: ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة، قال ابن كثير: أصدقتهن فانكحوهن،أي: تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك.[2]

ثم قال تعالى:{ولا تمسكوا بعصم الكوافر}

قال الإمام الشوكانى رحمه الله:

والعصم: جمع عصمة، وهي ما يعتصم به، والمراد هنا عصمة عقد النكاح، والمعنى أن من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين، قال النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب، وقيل: عامة في جميع الكوافر مخصصة بإخراج الكتابيات منها، وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه إذا أسلم وثني أو كتابي لا يفرق بينهما إلا بعد انقضاء العدة، وقال بعض أهل العلم: يفرق بينهما بمجرد إسلام الزوج وهذا إنما هو إذا كانت المرأة مدخولا بها وأما إذا كانت غير مدخول بها فلا خلاف بين أهل العلم في انقطاع العصمة بينهما بالإسلام إذ لا عدة عليها.[3]

وقوله تعالى: { وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنونْ} (الممتحنة: 11)

قال مجاهد وقتادة: هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها، وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق.[4]

([1]) أنظر: الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي: (63/18)

([2]) أنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (94/8)

([3]) أنظر: فتح القدير للشوكانى: (257/5)

([4]) أنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (95/8)

قال الزهرى:وما نعلم أحدا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها.[1]وقال ابن حجر: وأراد بذلك الإشارة إلى أن المعاقبة المذكورة بالنسبة إلى الجانبين إنما وقعت في الجانب الواحد لأنه لم يعرف أحدا من المؤمنات فرت من المسلمين إلى المشركين بخلاف عكسه.[2]

وقد أبى المسلمون عقيب صلح الحديبية أن يردوا النسوة المهاجرات بدينهن إلى أوليائهن إما لأنهم فهموا أن المعاهدة خاصة بالرجال فحسب أو لأنهم خشوا على النساء اللاتي أسلمن أن يضعفن أمام التعذيب والإهانة وهن لا يستطعن مضطربا في الأرض وردا للكيد كما فعل أبو جندل وأبو بصير وأضرابهما وأيا ما كان الأمر؛ فإن احتجاز من أسلم من النساء تم بتعليم القران.[3]

([1]) أنظر: صحيح البخارى، برقم: (2733)

([2]) أنظر: شرح الحديث السابق فى فتح الباري لابن حجر العسقلانى: (352/5)

([3]) أنظر: فقه السيرة للغزالى: (340)، والسيرة النبوية=عرض وقائع وتحليل أحداث: (686-687)

الفصل الثالث

أحداث السيرة النبوية فى السنة السابعة من الهجرة

- المبحث الأول

أهم الغزوات والسرايا فى السنة السابعة من الهجرة من خلال تفسير فتح القدير

- المبحث الثانى

أهم أحداث السيرة النبوية فى السنة السابعة من الهجرة

- المبحث الثالث

أهم التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

المبحث الأول

أهم الغزوات والسرايا فى السنة السابعة من الهجرة من خلال تفسير فتح القدير

- المطلب الأول : غزوة خيبر
- المطلب الثانى : غزوة وادى القرى
- المطلب الثالث : سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة
- المطلب الرابع : سرية أبى بكر رضى الله عنه إلى فزارة
- المطلب الخامس : سرية بشير بن سعيد الأنصارى رضى الله عنه إلى مرة بناحة فدك

المطلب الأول

غزوة خيبر[1]

ماورد فى القرآن الكريم من آيات عن غزوة خيبر وتفسير الشوكانى له

قال الله تعالى:

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحا مُّبِيناً): (الفتح: 1)

قال الإمام الشوكانى:

إنا فتحنا لك فتحا مبينا وفي صحيح مسلم عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: لما نزلت إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً الآية إلى قوله: فوزا عظيما مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: "لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعها".[2]

عدد الجيش الإسلامي

{سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاسيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً}: (الفتح:15)

قال الإمام الشوكانى:

سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها المخلفون هؤلاء المذكورون سابقاً،والظرف متعلق بقوله سيقول والمعنى، سيقولون عند انطلاقكم أيها المسلمون إلى مغانم يعني مغانم خيبر لتأخذوها لتحوزوها ذرونا نتبعكم أي، اتركونا نتبعكم ونشهد معكم غزوة خيبر، وأصل القصة أنه لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون:ذرونا نتبعكم فقال الله سبحانه: يريدون أن يبدلوا كلام الله أي يغيروا كلام الله, والمراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يبدِلوه هو مواعيد الله لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر، وقال مقاتل:يعني أمر الله لرسوله أن لا يسير معه أحد منهم، وقال ابن زيد: هو قوله تعالى: فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا واعترض على هذا ابن جرير وغيره بأن غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة والأول أولى، وبه قال مجاهد وقتادة، ورجحه ابن جرير وغيره، قرأ الجمهور:"كلام الله" وقرأ حمزة والكسائي "كلم الله" قال الجوهري: الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلام لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة

([1]) وهي بلدة معروفة، تبعد عن المدينة 165 كيل شمالا على طريق الشام. (أنظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١١ هـ:109)

([2]) رواه البخارى مسلم فى صحيحه، برقم: (1786)

مثل نبقة ونبق، ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يمنعهم من الخروج معه فقال: قل لن تتبعونا هذا النفي هو في معنى النهي، والمعنى: لا تتبعونا كذلكم قال الله من قبل أي: من قبل رجوعنا من الحديبية أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون يعني المنافقين عند سماع هذا القول، وهو قوله: "لن تتبعونا" بل تحسدوننا أي: بل ما يمنعكم من خروجنا معكم إلا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة وليس ذلك بقول الله كما تزعمون، ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله: بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا أي: لا يعلمون إلا علما قليلا وهو علمهم بأمر الدنيا، وقيل: لا يفقهون من أمر الدين إلا فقها قليلا، وهو ما يصنعونه نفاقا بظواهرهم دون بواطنهم.[1]

وكانت غزوة خيبر في صفر سنة سبع وبينها وبين المدينة ثمانية برد مشى ثلاثة أيام، وقيل: سميت بخيبر بن قانية بن هلال بن مهلهل بن عبيل بن عوض ابن إرم بن سام بن نوح : وكان عثمان بن عفان مصرها.[2]

خرج محمد وأصحابه بروح إيمانية عالية، مخلصين لله موقنين بالنصر، مستبشرين بالغنيمة التي وعدهم الله إياها وهم في طريق عودتهم من الحديبية، في قوله تعالى: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝}: (الفتح:20) ولم يسمح النبي للمنافقين وضعفاء الإيمان الذين تخلفوا في الحديبية بالخروج معه، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة، تصديقًا لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}: (الفتح:7-9)

قال الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية: يعني مغانم خيبر لأن الله عز وجل وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة، من غاب منهم ومن حضر.[3]

وثارت الحمية في قلوب المسلمين لقتال عدوهم، لم يفت في عضد المسلمين كثرتهم وقوتهم إذ كانت يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا ثم يقولون :محمد يغزونا؟ هيهات، هيهات[4]. فعمى الله عليهم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل بساحتهم ليلا.[5]

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن

([1]) أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني: (5/58-59)

([2]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي: (1/306)

([3]) أنظر: فتح القدير للشوكاني: (5/56)

([4]) أنظر: المغازي للواقدي: (2/637)

([5]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي: (1/306)

الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سنان: انزل يا بن الأكوع، فخذ لنا من هناتك، قال: فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا[1]

لما أشرف الجيش الإسلامي على خيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله. قال: وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها.[2]

وكانت يهود يقومون كل ليلة قبل الفجر، ويصفون الكتائب، وخرج كنانة ابن أبي الحقيق في أربعة عشر رجلا إلى غطفان، يدعوهم إلى نصرهم ولهم نصف ثمر خيبر سنة. فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم، لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك، حتى طلعت الشمس، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغدوا إلى أعمالهم معهم المساحي والكرازين والمكاتل، فلما نظروا المسلمين قالوا: محمد والخميس!! وولوا هاربين إلى حصونهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الله أكبر! خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.[3]

حاصر المسلمون حصون خيبر متأهبين لقتال اليهود، وقد أخذوا أسلحتهم وأعدّوا عدتهم لذلك، وأراد رسول الله أن يستثير همم أصحابه لمواجهة أعدائهم، وأن يحفز في نفوسهم البذل وحب الله ورسوله، فقال: "لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله[4]".

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى علي رضي الله عنه– وهو أرمد– فقال علي: ما أبصر سهلا ولا جبلا! فذهب إليه فقال صلى الله عليه وسلم: افتح عينيك! ففتحهما، فتفل فيهما، فما رمد بعدها، ثم دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه بالنصر، وكان أول من خرج إليه الحارث أبو زينب– أخو مرحب– فانكشف المسلمون وثبت علي، فاضطربا ضربات فقتله علي، وانهزم اليهود إلى حصنهم.[5]

ولما أقام المسلمون على حصن الصعب يومين، عدا بهم الحباب بن المنذر في اليوم الثالث ومعه الراية، فقاتلهم أشد قتال. وبكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فتراموا بالنبل، وقد ترس المسلمون على رسول اللّه. ثم حملت اليهود حملة منكرة، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول اللّه صلّى

([1]) أنظر :السيرة النبوية لابن هشام: (2/328–329)

([2]) أنظر :المصدر السابق: (2/329)

([3]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي: (1/307)

([4]) أنظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني القتيبي المصري: (1/340)

([5]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي: (1/310)

الله عليه وسلّم، وهو واقف قد نزل عن فرسه، ومدعم يمسك الفرس، وثبت الحباب برايته يراميهم على فرسه. فندب رسول الله الناس وحضهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحف بهم الحباب، واشتد الأمر، فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم، ورموا من أعلى جدره بالحجارة رميا كثيرا فتباعد عنه المسلمون ثم كروا. فخرجت يهود وقاتلوا أشد قتال، فقتل ثلاثة من المسلمين، ثم هزمهم الله تعالى، واقتحم المسلمون الحصن يقتلون ويأسرون. فوجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك كثيرا فنادى منادي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كلوا واعلفوا ولا تحتملوا يعنى لا تخرجوا به إلى بلادكم فأخذوا من ذلك الحصن طعامهم، وعلف دوابهم، ولم يمنع أحد من شيء، ولم يخمس. ووجدوا بزّا في عشرين عكما محزمة من متاع المين ، ووجدوا خوابي سكر، فأمر بالسكر فكسر خوابيه، ووجدوا آنية من نحاس وفخار كانت يهود تأكل فيها وتشرب، فقال عليه السلام: اغسلوها واطبخوا، وكلوا فيها واشربوا، وأخرجوا منها غنما وبقرا وحمرا، وآلة الحرب، ومنجنيقا، ودبابات وعدة، وخمسمائة قطيفة، وعشرة أحمال خشب، فأحرق، وشرب الخمر رجل من المسلمين يقال له: "عبد الله الحمار"، فخفقه رسول الله بنعليه، وأمر من حضروه فخفقوه بنعالهم، ولعنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال صلّى الله عليه وسلّم: فإنه يحب الله ورسوله!، ثم راح عبد الله كأنه أحدهم، فجلس معهم.[1]

وسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كنانة بن أبي الحقيق عن الأموال وكان قد قال صلّى الله عليه وسلّم حين صالحه برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئا، فقال كنانة: يا أبا القاسم! أنفقناه في حربنا فلم يبق منه شيء! وأكد الأيمان، فقال رسول الله: برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكم؟ قال: نعم! ثم قال صلّى الله عليه وسلّم: وكل ما أخذت من أموالكم، وأصبت من دمائكم، فهو حل لي ولا ذمة لكم؟ قال: نعم! وأشهد عليه عدة من المسلمين ومن يهود، فدله سعية ابن سلام بن أبي الحقيق على خربة، فبعث عليه السلام الزبير في نفر مع سعية حتى حفر، فإذا كنز في مسك جمل، فيه حلي. فأتى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأمر الزبير أن يعذب كنانة حتى يستخرج كل ما عنده، فعذبه حتى جاءه بمال، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود، وعذب ابن أبي الحقيق الآخر، ثم دفع إلى ولاة بشر بن البراء فقتل به، وقيل ضرب عنقه، واستحل صلّى الله عليه وسلّم بذلك أموالهما، وسبي ذراريهما. ووجد في المسك: أسورة الذهب، ودمالج الذهب، وخلاخل الذهب، وأقرطة ذهب، ونظم من جوهر وزمرّد، وخواتم ذهب، وفتخ بجزع ظفار مجزع بالذهب.[2]

أسباب الغزوة

ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة، وأمن منه أمنا باتا بعد الهدنة أراد أن يحاسب الجناحين الباقيين اليهود وقبائل نجد حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في

([1])أنظر: المصدر السابق: (313/1-314)

([2]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (315/1)

المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه، ولما كانت خيبر هي وكرة الدس والتامر، ومركز الإستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولا.

أما كون خيبر بهذه الصفة، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الإتصالات بالمنافقين- الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي وبغطفان وأعراب البادية الجناح الثالث من الأحزاب وكانوا هم أنفسهم يهيئون للقتال، فألقوا المسلمين بإجراآتهم هذه في محن متواصلة، حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وإزاء ذلك اضطر المسلمون إلى بعوث متوالية، وإلى الفتك برأس هؤلاء المتامرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير بن زارم، ولكن الواجب على المسلمين إزاء هؤلاء اليهود كان أكبر من ذلك. وإنما أبطأوا في القيام بهذا الواجب، لأن قوة أكبر وأقوى وألد وأعند منهم وهي قريش كانت مجابهة للمسلمين، فلما انتهت هذه المجابهة صفا الجو لمحاسبة هؤلاء المجرمين، واقترب لهم يوم الحساب.[1]

قسمة الغنائم

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلي اليهود من خيبر، فقالوا: يا محمد، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها، ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون يقومون عليها، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع، ومن كل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم. وكان عبد الله بن رواحة يخرصه عليهم.

وقسم أرض خيبر على ستة وثلاثين سهما، وجمع كل سهم مائة سهم، فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين النصف من ذلك وهو ألف وثمانمائة سهم، لرسول الله صلى الله عليه وسلم سهم كسهم أحد المسلمين، وعزل النصف الآخر وهو ألف وثمانمائة سهم، سهم لنوائبه وما يتنزل به من أمور المسلمين، وإنما قسمت على ألف وثمانمائة سهم، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب، وكانوا ألفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس، لكل فرس سهمان، فقسمت على ألف وثمانمائة سهم، فصار للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم واحد، ويدل على كثرة مغانم خيبر ما رواه البخاري عن ابن عمر قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر، وما رواه عن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل.[2]

([1]) أنظر: الرحيق المختوم: (333)

([2]) أنظر: الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري: (342-343)

وجملة من استشهد من المسلمين في معارك خيبر ستة عشر رجلا، أربعة من قريش وواحد من أشجع، وواحد من أسلم، وواحد من أهل خيبر، والباقون من الأنصار.

ويقال: إن شهداء المسلمين في هذه المعارك 18 رجلا. وذكر العلامة المنصور فوري [1] 19 رجلا، ثم قال: إني وجدت بعد التفحص 23 اسما، واحد منها في الطبري فقط، وواحد عند الواقدي فقط، وواحد مات لأجل أكل الشاة المسمومة، وواحد اختلفوا هل قتل في بدر أو خيبر. والصحيح أنه قتل في بدر، أما قتلى اليهود فعددهم ثلاثة وتسعون قتيلا.[2]

([1]) أنظر: رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (ت ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى: (203–207)

([2]) أنظر: الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري: (345)

المطلب الثاني

غزوة وادى القرى

وهو اسم لقرية من قرى اليهود، بين المدينة وخيبر، وهي الآن من أعمال المدينة، وتسمّى بالعلى،[1] لما انصرف صلّى الله عليه وسلّم من خيبر يريد وادي القرى، فلما كان بالصهباء أعرس بصفية بنت حيي مساء، وأو لم عليها بالحيس والسّويق والتمر،[2] وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قريبا من قبته، آخذا بقائم السيف حتى أصبح، وهو يحرسه صلّى الله عليه وسلّم، فلما انتهى إلى وادي القرى- وقد ضوى[3] إليها ناس من العرب استقبله اليهود بالرّمي، فقلت مدعم، وهو يحط رحل النبي صلّى الله عليه وسلّم بسهم، فعبأ عليه السلام أصحابه وصفّهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عبّاد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا، وبرزوا فقتل منهم أحد عشر رجلا، وبات عليهم وغدا لقتالهم فأعطوا بأيديهم، فأخذها عنوة، وغنم ما فيها فقسمه، وعامل يهود على النخل.[4]

ولما بلغ أهل تيما ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية، فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم، قيل: وقتل عبده صلى الله عليه وسلم الأسود الذي كان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما هو يحط رحله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها من خيبر من الغنائم قبل أن تقسم تشتعل عليه نارا.[5]

فنام ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، فأذن بلال، وركعوا ركعتي الفجر، ثم صلى بهم حتى إن أحدهم ليسلت العرق عن جبينه من حرّ الشّمس، فلما سلم، قال: كانت أنفسنا بيد الله، فلو شاء قبضها، وكان أولى بها، فلما ردّها إلينا صلينا، ثم أقبل على بلال وكان قد قال قبل أن ينام: ألا رجل صالح حافظ لعينيه يحفظ لنا صلاة الصبح؟ فقال بلال: أنا! ثم نام معهم، غلبته عيناه،

([1])أنظر: إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم، لحسن بن محمد المشاط المالكي (ت ١٣٩٩هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الثانية – ١٤٢٦ هـ، عدد الصفحات: ٨٣٢: (554)

([2]) الحيس: طعام العرب، والسويق: يتخذ من الحنطة والشعير.

([3]) ضوى إليه ضيًا وضويا، وانضوى إليه، إذا أوى إليه : (أنظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٤، (350/2)

([4]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (325/1-326)

([5]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (86/3)

فقال صلّى الله عليه وسلّم: مه[1] يا بلال؟ فقال: بأبي وأمي، قبض نفسي الّذي قبض نفسك! فتبسم صلّى الله عليه وسلّم،[2] وقد قيل: إن ذلك كان مرجعه صلّى الله عليه وسلّم من حنين، والأول قول محمد بن شهاب عن سعيد بن المسيّب، وهو أعلم الناس بالسّير والمغازي، وكذلك سعيد بن المسيّب، ولا يقاس بهما المخالف لهما في ذلك: وروي عن قتادة أن ذلك كان في جيش الأمراء، وهذا وهم، وجيش الأمراء كان في غزوة مؤتة، ولم يشهدها النبي صلّى الله عليه وسلّم. وعن عطاء بن يسار أنها كانت في غزوة تبوك، وهذا لا يصح،[3] لأن الآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة، وقوله مرسل.

ولما نظر إلى أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه![4] اللهمّ إني حرمت ما بين لابتي المدينة، ونهى أن يطرق الرجل أهله ليلا بعد صلاة العشاء،[5] ولما قدم المدينة اتخذ المنبر، وله درجتان والمستراح، وخطب عليه فحنّ الجذع الّذي كان يستند إليه إذا خطب.

وفي جمادى الأولى من سنة سبع، ردّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع.[6]

([1]) كلمة استفهام بمعنى ماذا.

([2]) أنظر: سنن أبي داود لابي داود، رقم الحديث: (435 و436) و المغازي للواقدي: (712/2)

([3]) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) : (316/3): "لكن قد اضطربت الرواة في هذه القصة، فقال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبه، عن جامع: إن الحارس فيها كان ابن مسعود، وقيل: إن الحارس كان بلالا، واضطربت الرواية في تاريخها، فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة عنه: إنها كانت في غزوة تبوك، وقال غيره عنه: أنها كانت في مرجعهم من الحديبيّة، فدلّ على وهم وقع فيها، ورواية الزهري عن سعيد سالمة من ذلك، وبالله التوفيق".

([4]) أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠: (155/6).

([5]) أنظر: المغازي للواقدي: (712/2)

([6]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (326/1-328)

المطلب الثالث

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة[1]

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى شعبان سنة سبع من الهجرة[2] ثلاثين رجلا[3] إلى عجز هوازن[4]، وأرسل صلى الله عليه وسلم دليلا من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر لهوازن فهربوا، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محالهم، فلم يجد منهم أحدا، فانصرف راجعا إلى المدينة، فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل: هل لك جمع آخر من خثعم، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، إنما أمرني بقتال هوازن.[5]

([1]) تربة بضم التاء المثناة فوق وبعد الراء موحدة ثم هاء: جاء أثناء تعديد سرايا وغزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر، تربة، واد من أودية الحجاز الشرقية طويل، ذو مياه وزروع وقرى، أعلاه لغامد، ووسطه للبقوم، وأسفله لسبيع. وبه بلدة عامرة، تقع شرق الطائف على قرابة (200) كيل، تعرف بتربة البقوم، وينصرف الاسم اليوم إليها، أما أسفله ففيه بلدة عامرة لقبيلة سبيع تسمى الخرمة، وهذا الوادي يسيل من سراة غامد قرب الباحة، ويتعرج بين الشرق والشمال حتى يجتمع مع بيشة ورنية في مكان يسمى الفرشة، قرب عرق سبيع المعروف قديما برمل بني عبد الله. (أنظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (ت ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمةالطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: (62)

([2]) أنظر: المغازى للواقدى: (722/2)

([3]) أنظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقى: (292/4)

([4]) (عجز هوازن) بنو نصر بن معاوية، وبنو جشم بن بكر.

([5]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (261/3)، وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد: (130/6)

المطلب الرابع

سرية أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى فزارة[1]

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وخرجت معه حتى إذا ما دنونا من الماء عرس بنا أبو بكر حتى إذا ما صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء، فقتل أبو بكر من قتل، ونحن معه، قال سلمة فرأيت عنقا من الناس فيهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بيني وبينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم، قاموا فإذا امرأة من بني فزارة فيهم عليها قشع من أدم معها ابنتها من أحسن العرب فجئت أسوقهم إلى أبي بكر، فنفلني أبو بكر ابنتها، فلم أكشف لها ثوبا، حتى قدمت المدينة، ثم باتت عندي فلم أكشف لها ثوبا حتى لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق، ولم أكشف لها ثوبا، فقال: "يا سلمة! هب لي المرأة"، قلت: يا نبي الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا، قال: فسكت حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ولم أكشف لها ثوبا، قال يا سلمة: هب لي المرأة لله أبوك، قلت: هي لك يا رسول الله. قال: فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ففدا بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين.أخرجه مسلم في الصحيح من حديث عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار.

وذكر الواقدى: كان شعار المسلمين فى هذه السرية : أمت أمت![2]

([1]) بنو فزارة – بطن من ذبيان من غطفان من القحطانية، وهم بنو فزارة بن ذبيان، وذبيان تقدم نسبه عند ذكره في حرف الذال المعجمة، كان له من الولد عدي ومازن، قال في العبر: وكانت منازل فزارة بنجد ووادي القرى، ولم يبق بنجد أحد، ونزل جيرانهم من طي مكانهم قران بأرض برقة إلى من طرابلس، منهم قبائل رواحة وهيب وفزان، قال: وبأفريقية والمغرب الآن منهم أحياء كثيرة اختلطوا مع أهله، منهم المعقل بالمغرب الاقصى، ومنهم حصين بن نيار أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. (أنظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، ص392–393)

([2]) أنظر: دلائل النبوة للبيهقى: (4/290–291) و السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (261/3)

المطلب الخامس

سرية بشير بن سعد الأنصاري رضي الله تعالى عنه إلى بني مرة بناحية بفدك[1]

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلا إلى بني مرة بفدك وتقدم أنها قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، فخرج فلقي رعاء الشاء، فسأل عن الناس؟ فقيل في بواديهم، فاستاق النعم والشاء، وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ إليهم فأدركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يترامون بالنبل حتى فني نبل أصحاب بشير، أي فلما أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه، فقتلوا منهم من قتلوا، وولى من ولي منهم، وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث: أي جرح وصار ما به رمق، وضربت كعبه اختبارا لحياته فلم يتحرك، فقيل مات، فرجعوا بنعمهم وشياههم، وجاء إليه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء بشير رضي الله تعالى عنه إلى المدينة بعد ذلك، أي فإنه استمر بين القتلى إلى الليل، فلما أمسى تحامل حتى انتهى إلى فدك فأقام بفدك عند يهودي أياما حتى قوي على المشي، وجاء إلى المدينة.[2]

وذكر الواقدى لما خرج فلقي رعاء الشاء فسأل: أين الناس؟ فقالوا: هم في بواديهم، والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء، فاستاق النعم والشاء وعاد منحدرا إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه الدهم منهم عند الليل، فباتوا يراموهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير، وأصبحوا وحمل المريون عليهم فأصابوا أصحاب بشير وولى منهم من ولى، وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ضرب كعبه، وقيل: قد مات، ورجعوا بنعمهم وشاءهم، وكان أول من قدم بخبر السرية ومصابها علبة بن زيد الحارثي، وأمهل بشير بن سعد وهو في القتلى، فلما أمسى تحامل حتى انتهى إلى فدك، فأقام عند يهودي بفدك أياما حتى ارتفع من الجراح، ثم رجع إلى المدينة، وهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال: سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير، فإن ظفرك الله بهم فلا تبق فيهم، وهيأ معه مائتي رجل وعقد له اللواء، فقدم غالب بن عبد الله من سرية قد ظفر الله عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام: اجلس! وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، فخرج أسامة بن زيد فى السرية حتى انتهى إلى مصاب بشير وأصحابه، وخرج معه علبة بن زيد.[3]

([1]) فدك: (بفتح الفاء والدال) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان: (أنظر: معجم البلدان لياقوت الحموى: 238/4)

([2]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (262/3) وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد: (132/6)

([3]) أنظر: المغازى للواقدى: (723/2-724)

المبحث الثانى

أهم أحداث السيرة فى السنة السابعة من الهجرة

- المطلب الأول : قدوم جعفر (رضى الله عنه) ومن معه من الحبشة
- المطلب الثانى :زواج النبى صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيى بن أخطب
- المطلب الثالث :عمرة القضاء
- المطلب الرابع :زواج النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث رضى الله عنهما

المطلب الأول

قدوم جعفر رضى الله عنه ومن معه من الحبشة

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح، عن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه، والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟

قال ابن إسحاق: وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية.[1]

وقدم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه على رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الحبشة وهو في خيبر ،جعفر بن أبي طالب ومن معه وهم ستة عشر رجلا وامرأة وجمع آخر كانوا في اليمن، فأسهم لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الغنائم، بعد أن استأذن في ذلك المسلمين.[2]

مهاجرة الحبشة

من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، قال ابن هشام: ويقال: همينة بنت خلف، وابناه سعيد بن خالد وأمه بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكناني.

ومعيقيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص، وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، حليف آل عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن نوفل بن خويلد، رجل.

ومن بني عبد الدار بن قصي: جهم بن قيس بن عبد شرحبيل، معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود، وابناه لها، رجل.

([1]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (359/2)

([2]) أنظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مُحمد سَعيد رَمضان البوطيالناشر: دار الفكر- دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ، عدد الصفحات: ٤٠٠ : (245)

ومن بني زهرة بن كلاب: عامر بن أبي وقاص وعتبة بن مسعود، حليف لهم من هذيل، رجلان.

ومن بني تيم بن مرة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة، هلكت بأرض الحبشة، رجل.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أهبان، رجل.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، محمية بن الجزء ، حليف لهم من بني زبيد، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعله على خمس المسلمين، رجل.

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي: معمر بن عبد الله بن نضلة، رجل.

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس، معه امرأته عمرة بنت السعدي بن وقدان بن عبد شمس، رجلان.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لقيط، رجل. وقد كان حمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك لك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين، فجميع من قدم في السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا.

المطلب الثاني

زواج النبي صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب

صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، –صلى الله عليه وسلم–، وأمها برة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير، وكانت صفية تزوجها سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري فقتل عنها يوم خيبر.[1]

ذكر قصة صفية بنت حيي بن أخطب النضرية رضي الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير من المدينة كما تقدم، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها، فلما زفت إليه وأدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليال، رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها، فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال: أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك!، فما كان إلا مجئ رسول الله صلى عليه وسلم وحصاره إياهم، فكانت صفية في جملة السبي، وكان زوجها في جملة القتلى، ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزه وملكه كما سيأتي، وبنى بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة في خدها، فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها.

قال البخاري: وحدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا وهب، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح صلى الله عليه وسلم الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروسا، فاصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه، فخرج بها حتى بلغ بها سد الصهباء حلت فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صنع حيسا في نطع صغير ثم قال لي: آذن من حولك، فكانت تلك وليمته على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

([1]) أنظر: الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – جمهورية مصر العربية،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م : (رقم:4965)، و سير أعلام النبلاء (231/2).

تفرد به دون مسلم.[1]

قال أنس رضى الله عنه : لما افتتح صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبى، جاءه دحية فقال:يا رسول الله أعطنى جارية من السبى، فقال: "اذهب فخذ جارية" فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، قال: "ادعوه بها" فجاء بها، قال: فلما نظر إليها النبى- صلى الله عليه وسلم- قال: "خذ جارية من السبى غيرها" قال: وأعتقها وتزوجها، قال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان الطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل، فأصبح (صلى الله عليه وسلم) عروسا، فقال: "من كان عنده شيء فليجيء به" قال: فبسط نطعا، قال: فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وفى رواية: فقال الناس لا ندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد، قالوا: إن حجبها فهى امرأته وإن لم يحجبها فهى أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبها، وفى رواية: فانطلقنا حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها، فدفعنا مطايانا، ودفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مطيته، قال: وصفية خلفه قد أردفها، قال: فعثرت مطية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصرع وصرعت، فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسترها، قال: فدخلنا المدينة، فخرج جوارى نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم.

وروى عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم أتى بصفية يوم خيبر، وأنه قتل أباها وأخاها، وأن بلالا مر بها بين المقتولين، وأنه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله.[2]

([1]) أنظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) : (372/3)

([2]) أنظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لابن عبد الملك القسطلاني: (505/1--506)

المطلب الثالث

عمرة القضاء

يقال عمرة القضاء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها، أي صالحهم عليها، ومن ثم قيل لها عمرة الصلح، ويقال لها عمرة القصاص. قال السهيلي رحمه الله: وهذا الاسم أولى بها، لقوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاصٌ) (البقرة: الآية 194) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فتحصل من أسمائها أربعة: القضاء، والقضية، والصلح، والقصاص: أي لأنها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة، أي وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن البيت منها سنة ست، وليست قضاء عن العمرة التي صد عن البيت فيها، فإنها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت، بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم التي اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، وهي أربعة: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين، والعمرة التي قرنها مع حجه في حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من أنه كان قارنا، ولكنها في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجه.

وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه أنه اعتمر خارجا من مكة إلى الحل في تلك المدة أصلا، ولم يفعل هذا على عهده صلى الله عليه وسلم إلا عائشة رضي الله تعالى عنها. وهذه العمرة ليست من الغزوات، وإنما ذكرها البخاري فيها، لأنه صلى الله عليه وسلم خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر، وليس من لازم الغزو وقوع المقاتلة، ومن ثم قيل لها غزوة الأمن.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقد عليه قريشا في الحديبية، أي من أنه يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام.

وفي أنس الجليل ما يفيد أن اشتراط الثلاثة أيام كان في عمرة القضاء، ففيه: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا عمرة القضاء، فأبى أهل مكة أن يدعوه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام، وأن لا يخرج من أهلها أحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدا أن يقيم بها وأصحابه كانوا ألفين، أي وأمر أن لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف أحد إلا من استشهد في خيبر ومن مات، وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل غيره، وساق ستين بدنة وقلدها: أي جعل في عنق كل بعير قطعة من جلد أو نعلا بالية ليعلم أنه هدي فيكف الناس عنه، ولم يذكر هنا الإشعار، أي وجعل عليها ناجية بن جندب.

قال: وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والدروع والرماح، وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه، أي وعلى السلاح يشير بوزن أمير ابن سعد، وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل: يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن يكون قريبا منا، فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا، فمضى بالخيل محمد بن مسلمة، فلما كان بمر الظهران وجد نفرا من قريش فسألوه، فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله، أي وقد رأوا سلاحا كثيرا، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح، ففزعت قريش وقالوا: ما أحدثنا حدثا، وإنا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد في أصحابه، ثم إن قريشا بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش إليه صلى الله عليه وسلم، فقالوا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب، فقال صلى الله عليه وسلم: إني لا أدخل عليهم بسلاح، فقال مكرز: هو الذي تعرف به البر والوفاء، ثم رجع مكرز إلى مكة سريعا وقال: إن محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم.

فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت وهو وأصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة، أي راكبا ناقته القصواء وأصحابه محدقون به، قد توشحوا السيوف يلبون، ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وهي ثنية كداء بالمد، أي وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة قال: اللهم لا تجعل منيتنا بها، يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها، أي وجعل صلى الله عليه وسلم في بطن ناجح، موضع قريب من الحرم، وتخلف عنده جمع من المسلمين؛ أي نحو مائتين من أصحابه عليهم أوس بن خولى، وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع ينظرون إليه صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه وهم يطوفون بالبيت، وقد قالوا: أي كفار قريش: إن المهاجرين أوهنتهم: أي أضعفتهم حمى يثرب، وفي لفظ قالوا: يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، أي ليروا المشركين أن لهم قوة: أي فعند ذلك قال المشركين؛ أي قال بعضهم لبعض: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهمتهم، هؤلاء أجلد من كذا، إنهم لينفرون: أي يثبون نفر الظبي: أي الغزال، وإنما لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل في الأشواط كلها رفقا

بهم، واضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك، وهذا أول رمل واضطباع في الإسلام.

وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثلاثة أيام، فلما تمت الثلاثة التي هي أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنهما- فإنهما أسلما بعد ذلك- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة، فقالوا: نناشدك الله والعقد إلا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه منها، وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها؛ أي وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهي أخت أم الفضل زوج العباس رضي الله عنهما، وأخت أسماء بنت عميس لأمها زوج حمزة رضي الله تعالى عنه، وكان تزوجه صلى الله عليه وسلم ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة، وقيل بعد أن أحل منها، وقيل وهو محرم، أي وهو ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ورواه الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، فإنه صلى الله عليه وسلم كان قد بعث إليها جعفرا رضي الله عنه ليخطبها، ولما انتهت إليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم كانت على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله، أي ومن ثم قيل إنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. وقيل جعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي وقيل جعلت أمرها لأم الفضل أختها فجعلت أم الفضل أمرها للعباس فزوجها العباس وأصدقها عنه صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم، ولا مانع من نكاحه صلى الله عليه وسلم وهو محرم، فإن من خصائصه صلى الله عليه وسلم حل عقد النكاح في الإحرام، أي وفي كلام السهيلي، كان من شيوخنا من يتأول قول ابن عباس: تزوجها محرما: أي في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، ولم يرد الإحرام بالحج، أي كما أراد ذلك الشاعر بقوله في عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... ورعا لم أر مثله مقتولا

أي في شهر حرام، فإنه قتل في أيام التشريق هذا كلام السهيلي.

قال ابن كثير رحمه الله: وفيه نظر لأن الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما متضافرة بخلاف ذلك التي منها تزوجها وهو محرم هذا كلامه، وعن ابن المسيب: غلط ابن عباس، أو قال: وهم ابن عباس، ما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو حلال، ومن ثم روى الدارقطني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال، قال السهيلي: فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره، فقف عليها فإنها غريبة عن ابن عباس.

وذكر بعض فقهائنا "أنه صلى الله عليه وسلم وكل أبا رافع رضي الله تعالى عنه في نكاح ميمونة رضي الله تعالى عنها" وفي بعض السير، وعن أبي رافع قال "تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال، وأنا الرسول بينهما" رواه البيهقي والترمذي والنسائي، وأراد صلى الله عليه وسلم أن يا بني بها في مكة فلم يمهلوه يا بني بها، قال: وقد قال لهم "ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعاما؟ فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك، اخرج عنا من أرضنا، هذه الثلاثة قد مضت" وفي لفظ "قال لهم: إني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن مكثت حتى أدخل بها وأصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا" وفي رواية "جاؤوا إليه صلى الله عليه وسلم في قبته التي نصبها بالأبطح، وذلك وقت الظهر، وقيل وقت الصبح" ولا مخالفة لجواز مجيئهم له في الوقتين. وعند مجيئهم له صلى الله عليه وسلم كان مع الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة، فصاح حويطب: ناشدتك الله والعقد إلا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فغضب سعد بن عبادة رضي الله عنه لما رأى من غلظ كلامهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال لذلك القائل: كذبت لا أم لك، ليست بأرضك ولا أرض آبائك، أي وفي لفظ قال: يا عاض بظر أمه أرضك وأرض أمك دونه، ليست بأرضك ولا أرض آبائك، والله لا يبرح منها إلا طائعا راضيا، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا، وأسكت الفريقين، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا رافع رضي الله تعالى عنه أن ينادي بالرحيل ولا يمسي بها أحد من المسلمين وخلف أبا رافع ليأتي له بميمونة حين يمسي، فخرج بها، ولقيت ميمونة رضي الله تعالى عنها من سفهاء مكة عناء.

فعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه: لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من أذى ألسنتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولميمونة، فقلت لهم: ما شئتم، هذه والله الخيل والسلاح ببطن ناجح وأنتم تريدون نقض العهد والمدة، فولوا راجعين منكسين، وأقام صلى الله عليه وسلم بسرف بكسر الراء: وهو محل بين مساجد عائشة وبطن مرو، وهو أقرب إلى مساجد عائشة، وفيه دخل صلى الله عليه وسلم بميمونة: أي تحت شجرة هناك، وكان محل موتها ودفنها، دفنت فيه بعد ذلك، فإنه صلى الله عليه وسلم أخبرها بأنها لا تموت بمكة، فلما ثقل عليها المرض وهي بمكة قالت: أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بذلك، فحملوها حتى أتوا بها ذلك الموضع فماتت به ودفنت به، أي وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من أزواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن.

وحين دخوله صلى الله عليه وسلم مكة أخذ عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه بغرزه: أي ركابه صلى الله عليه وسلم أي وقيل بزمام الناقة، وهو رضي الله تعالى عنه وعنا وعن المسلمين يقول من أبيات:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله

قد أنزل الرحمن في تنزيله ... بأن خير القتل في سبيله

فاليوم نضربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

وفي لفظ:

نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله

وما قيل:

نحن قتلناكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ... أو يذهل الخليل عن خليله

قال عمار بن ياسر يوم صفين: لا يمنع أن يكون ذلك من كلام ابن رواحة رضي الله تعالى عنه وتمثل به عمار رضي الله تعالى عنه، أي وأما ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله، فقال فيه الدارقطني رحمه الله تفرد به بعض الرافضة، قال: وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: مه يا بن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خل عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل، وذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال: إيها يا بن رواحة: "قل لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده" فقالها وقالها الناس، أي وفي الإمتاع: وكان ابن رواحة يرتجز في طوافه وهو آخذ بزمام الناقة، فقال عليه الصلاة والسلام: إيها يا بن رواحة "قل: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَ جنده وهزم الأحزاب وحده" فقالها وقالها الناس، وطاف صلى الله عليه وسلم على راحلته، واستلم الحجر بمحجنه.

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت، فلم يزل به حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة، فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله تعالى أبا الحكم: يعني والده أبا جهل، حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول، وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا، وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أذهب أبي ولم يشهد هذا اليوم، حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة، وسهيل بن عمرو لما سمع ذلك غطى وجهه، وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله تعالى عنهم، قال بعضهم: وكون ما ذكر: أي من دخوله صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة وأذان بلال رضي الله تعالى عنه فوق

ظهرها كان في عمرة القضاء خلاف المشهور، إذ المشهور أن ذلك كان في يوم الفتح، ويدل لذلك ما قيل: لم يدخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وأنه أراد ذلك فأبوا وقالوا لم يكن في شرطك، فأمر بلال فأذن فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها، قال الواقدي: في هذا القيل إنه أثبت.

ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة، أي وأوقف الهدي عند المروة، وقال "هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عندها وحلق" ولم أقف على من حلق رأسه الشريف في هذه العمرة، ثم رأيته في الإمتاع قال: حلقه معتمر بن عبد الله العدوي وفعل كفعله صلى الله عليه وسلم المسلمون، أي ومن لم يجد منهم بدنة رخص له في البقرة، وكان قدم رجل مكة ببقر فاشتراه الناس منه، وأمر صلى الله عليه وسلم من تحلل أن يذهب إلى السلاح ويأتي آخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته عمارة، أي وقيل اسمها أم أبيها، وقيل أمامة، وقيل أمة الله، قال ابن عبد البر: والمثبت أمامة، وأمها سلمى بنت عميس بنت عمه حمزة رضي الله تعالى عنه تنادي: يا عم يا عم، أي في لفظ: أن أبا رافع خرج بها فتناولها علي كرم الله وجهه؛ فأخذ بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فلما وصلوا المدينة اختصم فيها علي وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم، فقال زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه: أنا أحق بها، لأنها بنت أخي أي وأنا وصيه، لأنه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وزيد، أي وجعل حمزة رضي الله تعالى عنه وصيه، وقال علي كرم الله وجهه: أنا أحق بها لأنها ابنة عمي وجئت بها من مكة، وقال جعفر رضي الله تعالى عنه: أنا أحق بها لأنها بنت عمي وخالتها تحتي، أي وهي أسماء بنت عميس فقضى بها صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله تعالى عنه، وقال "الخالة بمنزلة الأم" هذا، وفي الإمتاع "وكلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمارة بنت حمزة رضي الله تعالى عنهما، وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة، فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين؟ وإنه لما قضى بها لجعفر رضي الله تعالى عنه حجل جعفر حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا جعفر؟ فقال: يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحدا قام فحجل حوله، وفيه أنه فعل مثل ذلك بخيبر، وما بالعهد من قدم إلا أن يقال يجوز أن يكون في خيبر فعل ذلك ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم. وفي لفظ "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها" وفيه تقديم الخالة في الحضانة على العمة، لأن عمتها صفية رضي الله تعالى عنها كانت موجودة، وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه في هذا الموطن "أنت أخي وصاحبي" وفي لفظ "أنت مني وأنا منك" وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله تعالى عنه "أشبهت خلقي وخلقي" أي وقد تقدم منه صلى الله عليه وسلم ذلك له في خيبر، وقال

صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله تعالى عنه "أنت أخي ومولاي" وفي لفظ "أنت مولى الله ومولى رسوله صلى الله عليه وسلم".[1]

(1) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (3/89-95)

المطلب الرابع

زواج النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير ابن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجه إياها العباس ابن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: بل كانت تحت حويطب بن عبد العزى أخى أبي رهم[1]، ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ}: (الأحزاب: 50)

ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش.[2]

وقال الإمام الشوكانى رحمه الله: وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي هو معطوف على مفعول أحللنا، أي: وأحللنا لك امرأة مصدقة بالتوحيد إن وهبت نفسها لك بغير صداق، وأما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك، ولكن ليس بواجب عليك بحيث يلزمك قبول ذلك بل مقيدا بإرادتك، ولهذا قال: إن أراد النبي أن يستنكحها أي: يصيرها منكوحة له ويتملك بضعها بتلك الهبة بلا مهر، وقد قيل: إنه لم ينكح النبي صلى الله عليه وسلم من الواهبات أنفسهن أحدا ولم يكن عنده منهن شيء، وقيل: كان عنده منهن خولة بنت حكيم كما في صحيح البخاري عن عائشة، وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث، وقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الأنصارية أم المساكين، وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل: هي أم شريك بنت جابر الأسدية، وقال عروة بن الزبير: هي أم حكيم بنت الأوقص السلمية.[3]

([1]) أنظر: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف – مصر،الطبعة: ١، ١٩٠٠ م: (36)

([2]) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: (646/2)

([3]) أنظر: فتح القدير للشوكانى: (335/4-336)

وهي آخر من تزوج صلى الله عليه وسلم، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد إحلاله، وبني بها بسرف[1]، وبها ماتت أيام معاوية، وذلك سنة إحدى وخمسين، قاله خليفة[2] وقبرها هناك معروف.

([1]) سرف: واد على عشرة أميال من مكة.

([2]) هو خليفة بن خياط الحافظ البصري الملقب بشباب، صاحب التاريخ والطبقات، توفي سنة 240هـ.

المبحث الثالث

أهم التشريعات التى وردت فى خلال هذه السنة

- المطلب الأول : تحريم لحوم الحمر الأهلية
- المطلب الثانى : تحريم نكاح المتعة

المطلب الأول

تحريم لحوم الحمر الاهلية

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (النحل:8)

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

والخيل والبغال والحمير بالنصب عطفا على الأنعام أي:وخلق لكم هذه الثلاثة الأصناف، وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع فيها كلها وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها، وواحد الخيل خائل كضائن واحد الضأن، وقيل: لا واحد له. ثم علل سبحانه خلق هذه الثلاثة الأنواع بقوله: لتركبوها وهذه العلة هي باعتبار معظم منافعها لأن الانتفاع بها في غير الركوب معلوم كالتحميل عليها وعطف زينة على محل لتركبوها لأنه في محل نصب على أنه علة لخلقها ولم يقل لتتزينوا بها حتى يطابق لتركبوها لأن الركوب فعل المخاطبين، والزينة فعل الزائن وهو الخالق، والتحقيق فيه أن الركوب هو المعتبر في المقصود، بخلاف الزينة فإنه لا يلتفت إليه أهل الهمم العالية لأنه يورث العجب، فكأنه سبحانه قال: خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الإعياء والمشقة، وأما التزين بها فهو حاصل في نفس الأمر ولكنه غير مقصود بالذات. وقد استدل بهذه الآية القائلون بتحريم لحوم الخيل قائلين بأن التعليل بالركوب يدل على أنها مخلوقة لهذه المصلحة دون غيرها. قالوا: ويؤيد ذلك إفراد هذه الأنواع الثلاثة بالذكر وإخراجها عن الأنعام فيفيد ذلك اتحاد حكمها في تحريم الأكل. قالوا: ولو كان أكل الخيل جائزا لكان ذكره والامتنان به أولى من ذكر الركوب، لأنه أعظم فائدة منه، وقد ذهب إلى هذا مالك وأبو حنيفة وأصحابهما والأوزاعي ومجاهد وأبو عبيد وغيرهم وذهب الجمهور من الفقهاء والمحدثين وغيرهم إلى حل لحوم الخيل.[1]

قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها روى هشام الدستوائي عن يحيى ابن أبي كثير عن نافع عن علقمة أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول في والأنعام خلقها لكم إن هذه للأكل وهذه للركوب والخيل والبغال والحمير لتركبوها وروى أبو حنيفة عن الهيثم عن عكرمة عن ابن عباس أنه كره لحوم الخيل وتأول والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة قال أبو بكر فهذا دليل ظاهر على حظر لحومها وذلك لأن الله تعالى ذكر الأنعام وعظم منافعها فذكر منها الأكل بقوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ثم ذكر الخيل والبغال والحمير وذكر منافعها الركوب والزينة فلو كان الأكل من منافعها وهو من أعظم المنافع لذكره كما ذكر من منافع الأنعام

([1]) أنظر: فتح القدير للشوكاني: (179/3)

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أخبار متضادة في الإباحة والحظر فروى عكرمة بن عمارة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال لما كان يوم خيبر أصاب الناس مجاعة فذبحوها "فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الإنسية ولحوم الخيل والبغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وحرم الخلسة والنهبة".[1]

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن أبيه عن الحكم (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ): (النحل:6) فجعل منه الأكل، ثم قرأ حتى بلغ (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا) قال: لم يجعل لكم فيها أكلا، قال: وكان الحكم يقول: والخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله.[2]

لما افتتح خيبر وخرج من الحصن عشرون حمارا أو ثلاثون، فأخذها المسلمون وانتحروها، وطبخوا لحومها، فمر بهم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم وهم على تلك الحال، فسأل، فأخبر خبرها، وأمر فنودي: إن رسول اللَّه نهاكم عن لحوم الحمر الإنسية فأكفئوا القدور.[3]

وفي رواية أنه قال: "أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نيرانا توقد يوم خيبر، قال: علام توقد هذه النيران؟ قالوا: على الحمر الإنسية، قال: اكسروها وأهريقوها، قالوا: ألا نهريقها ونغسلها؟ قال: اغسلوها".

وفي رواية "أنه صلى الله عليه وسلم قال: ما هذه النيران، على أي شيء توقد؟ قالوا: على لحم، قال: على أي لحم؟ قالوا: على لحم حمر إنسية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهريقوها واكسروها، فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها؟ فقال أو ذاك" وعدوله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الثاني إما باجتهاد أو وحي.

وجاء "أنه صلى الله عليه وسلم عند ذلك أمر عبد الله بن عوف أن ينادي في الناس أن لحوم الحمر الأهلية لا تحل لمن يشهد أن محمد رسول الله، وأمر أن تكفأ القدور ولا يأكلون من لحوم القدور شيئا".

وفي مسلم "فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طلحة فنادى: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس أو نجس" وهذا السياق كله يدل على أنهم لم يأكلوا منها شيئا، وفي السيرة الهشامية: "وأكل المسلمون من لحوم الحمر، فقام رسول الله صلى الله عليه

([1]) أنظر: أحكام القرآن للجصاص: 2/5)

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: (173/17)

([3]) أنظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (312/1)

وسلم فنهى الناس عن أمور سماها لهم" وهذا يرد القول بأنه إنما نهى عن أكلها للحاجة إليها، أو لأنها أخذت قبل القسمة.[1]

واختلف في تحريمها على أربعة أقوال:

الأول: إنما حرمت شرعا.

الثاني: أنها حرمت، لأنها كانت جوال القرية، أي تأكل الجلة، وهي النجاسة.

الثالث: أنها كانت حمولة القوم؛ ولذلك روي في الحديث أنه قيل: يا رسول الله؛ أكلت الحمر، فنيت الحمر، فحرمها.

الرابع: أنها حرمت، لأنها أفنيت قبل القسم، فمنع النبي صلى الله عليه وسلم من أكلها، حتى تقسم.[2]

([1]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون : (68/3)

([2]) أنظر: أحكام القرآن، لقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: (122/3-123)

المطلب الثاني

تحريم نكاح المتعة[1]

وفي خيبر أيضا حرم النبي نكاح المتعة، وهو قال صلى الله عليه وسلم: "نهى عن متعة النساء يوم خيبر"[2]، وهو النكاح لأجل، ولم يكن يستلزم طلاقا ولا عدّة، ولا يستوجب ميراثا، وقد كان هذا النكاح معروفا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أباحها في بعض الغزوات للضرورة القصوى، ففي حديث ابن مسعود: "أنهم كانوا إذا غزوا اشتدت عليهم العزبة، فأذن لهم في الاستمتاع".

وقد ورد في حل المتعة ثم تحريمها أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، ففي الصحيحين[3] عن علي رضي الله تعالى عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة، عام خيبر، ولحوم الحمر الأهلية. وفي صحيح البخاري عن علي أيضا التصريح بأن نكاح المتعة نسخ.[4]

قال السهيلي رحمه الله: وأغرب ما روي في ذلك رواية من قال إن ذلك كان في غزوة تبوك، وفي حديث خرجه أبو داود أن تحريم نكاح المتعة كان في حجة الوداع، ومن قال من الرواة إنه كان في غزوة أوطاس فهو موافق لمن يقول إنه كان عام الفتح، هذا كلامه.

وعن إمامنا الشافعي رضي الله عنه: لا أعلم شيئا حرم ثم أبيح ثم حرم إلا المتعة، أي فقد حرمت مرتين.

ونقل السهيلي رحمه الله وغيره عن بعضهم أنها أبيحت وحرمت ثلاث مرات، وعن بعضهم أنها أبيحت وحرمت أربع مرات، ولينظر هذا مع قول بعضهم إن أوّل من حرم المتعة سيدنا عمر رضي الله عنه، وقيل لم يحرمها صلى الله عليه وسلم مطلقا، بل عند الاستغناء عنها. وأباحها عند الحاجة إليها: أي عند خوف الزنا، وبذلك كان يفتي ابن عباس رضي الله عنهما.

([1]) هو النكاح إلى أجل معين، من التمتع بالشيء: الانتفاع به، كأنه ينتفع بها إلى أمد معلوم، وأبيح به في أول الإسلام ثم حرم، وهو جائز عند الشيعة. (أنظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م: 533/4)

([2]) رواه البخارى فى صحيحه: برقم : (4216) ومسلم فى صحيحه برقم: (1407)

([3]) رواه البخارى فى صحيحه: برقم :(3979، 4825، 5203، 6560) ومسلم فى صحيحه، فى باب نكاح المتعة و باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية برقم: (1407)

([4]) أنظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار القلم- دمشق، الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ: (382-381/2)

وفي كلام فقهائنا: والنهي عن نكاح المتعة في خبر الصحيحين الذي لو بلغ ابن عباس رضي الله عنهما لم يستمرّ على القول بإباحتها لمن خاف الزنا مخالفا في ذلك لكافة العلماء، وقد وقعت مناظرة في المتعة بين القاضي يحيى بن أكثم وأمير المؤمنين المأمون؛ فإن المأمون نادى بإباحة المتعة، فدخل عليه يحيى بن أكثم وهو متغير اللون بسبب ذلك وجلس عنده، فقال له المأمون: ما لي أراك متغيرا؟ قال: لما حدث في الإسلام، قال: وما حدث؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: المتعة زنا؟

قال: نعم المتعة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما الكتاب، فقد قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ): (المؤمنون:1) إلى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (5) إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (7)، يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا، قال: أفهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين. وأما السنة، فقد روى الزهري بسنده إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها" فالتفت المأمون للحاضرين وقال: أتحفظون هذا من حديث الزهري؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، فقال المأمون: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة.[1]

([1]) أنظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: (3/67-68)

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث بفضله و رحمته،والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين،و على آله وصحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

بعد إكمال هذه الرسالة توصلت إلى التوصيات التي هي ما يلي:

اخترت هذا الموضوع " أحداث السيرة النبوية في السنة الخامسة إلى السابعة من خلال تفسير فتح القدير (ت:1250 هـ) للبحث و قد جمعت فيه أحداث السيرة من السنة الخامسة من الهجرة إلى السنة السابعة.

يعد كتاب فتح القادر من المراجع التي لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، لانه بين فنى الدراية والرواية فى التفسير وهو يعتمد على الروايات كثيرة، وكثير منها صحيح أن هذا التفسير التى إخترت طويل جدا، لم يذكر الشوكانى رحمه الله تعالى القصة مفصلة فى مواضع عديدة ولكن ذكرها مختصرة أو اشار إليها.

أن بحثى يشتمل على أحداث السيرة النبوية من السنة الخامسة من الهجرة إلى السنة السابعة من خلال تفسير فتح القدير للشوكانى رحمه الله رحمة واسعة.

قد جمعت الآية القرآنية اللتى تتعلق بالأحداث السيرة النبوية ، وكتبت هذه الآيات المقدسة تلى الموضوعات، وأيضا الأحاديث.

راجعت أولا لكل بحث إلى هذا التفسير، ثم إلى كتب السيرة القديمة ،كسيرة ابن هشام ، وسيرة ابن إسحاق ، وفقه السيرة للبوطى رحمه الله، وزاد المعاد، وغير ذالك من الكتب القديمة.

يجب على الباحثين اهتمام بحوث السيرة لفهم القرآن الكريم و أسباب نزول الآيات بهذه الطريقة يمكننا أن نفهم ديننا و تفسير القران الكريم.

يلزم على أبناء الأمة الاسلامية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله و نصرة الإسلام من خلال دراسة السيرة النبوية و التعايش معها والسير على خطى الرسول صلى الله عليه وسلم.

يجب علينا نشرة السيرة النبوية من خلال إرسال كتب مترجمة بلغات العالم في السيرة و غيرها من أبواب الشريعة لنظرة الصورة الحقيقية للإسلام و شخصية محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

يجب على الأمة اهتمام كتب السيرة لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية كي يعلموا عملا صالحا على طريقة القرآن والسنة.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع ويجعله خالصا لوجه الكريم،و أن يعفو عني و عن أهلي الأعزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا و نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله و صحبه و بارك وسلم تسليما كثيرا كثيرا.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	آيات	السورة والرقم	الصفحة
1	فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ....الخ	البقرة /196	111
2	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...الخ	آل عمران/64	124
3	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ...الخ	النساء/43	94
3	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ....الخ	النساء /51-52	52
5	فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ....الخ	النساء/84	9
6	وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة...الخ	النساء/102	137
7	وَإِذ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ...	الأنفال/7	10
8	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ...الخ	الأنفال/9	12
9	إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ....الخ	الأنفال/12	13
10	فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ....الخ	الأنفال/17	14
11	إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ...الخ	الأنفال/19	11
12	وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ...الخ	الأنفال/48	11
13	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ..الخ	الأنفال/60	9
14	كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ....الخ	الرعد/30	108
15	وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ	النحل/6	172
16	وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	النحل/8	171
17	واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها...الخ	مريم/16-17	87
18	هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ...الخ	الحج/19	11
10	ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم....الخ	طه/131	81
20	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ....الخ	المؤمنون/1-5	175
21	عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ .....الخ	المؤمنون/6-7	175

22	وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ...الخ	النور /6	92
23	أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ	النور /7	93
24	أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ	النور /9	93
25	إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ....الخ	النور /11	76،72
26	لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ.....الخ	النور /12	76
27	لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ....الخ	النور /13	76
28	وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ...الخ	النور /14	76
29	وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ....الخ	النور /16	76
30	يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ.....الخ	النور /17–18	77
31	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ....الخ	النور /19	77
32	وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ....الخ	النور /20	77
33	وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَة....الخ	النور /22	77
34	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ....الخ	النور /62	54
35	مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُل مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ....الخ	الأحزاب/ 4	80
36	ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ....الخ	الأحزاب/ 5	81
37	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ.....الخ	الأحزاب /9	33
38	إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُم....الخ	الأحزاب /10	35
39	هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً	الأحزاب /11	41
40	وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَض...الخ	الأحزاب /12	42
41	وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَة مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ....الخ	الأحزاب /13	42
42	وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا....الخ	الأحزاب /14	43
43	وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ....الخ	الأحزاب /15	43
44	قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ...الخ	الأحزاب /16	44
45	قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ....الخ	الأحزاب /17	44
46	قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ....الخ	الأحزاب /18	44
47	أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ.....الخ	الأحزاب /19	45

48	يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ.....الخ	الأحزاب /20	46
49	لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.....الخ	الأحزاب /21	46
50	وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا.....الخ	الأحزاب /22	47
51	مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَال صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ....الخ	الأحزاب/ 23	47
52	لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ.....الخ	الأحزاب/24–25	50
53	وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ....الخ	الأحزاب/ 26	60
54	وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا.....الخ	الأحزاب/ 27	67
55	أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ.....الخ	الأحزاب/ 37	70
56	وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ	الأحزاب/50	168
57	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ....الخ	الأحزاب/53	87
58	وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي...الخ	يس/69	4
59	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحا مُّبِينا...الخ	الفتح/1	145
60	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً....الخ	الفتح/1–3	120
61	لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...الخ	الفتح/2	109
62	إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَاهِدا وَمُبَشِّرا وَنَذِيرا...الخ	الفتح/8–9	146
63	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ....الخ	الفتح/10	110
64	سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ...الخ	الفتح/15	145
65	لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ..الخ	الفتح/18	110
66	وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً.....الخ	الفتح/20	146
67	هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ....إلخ	الفتح/25	111
68	لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ...الخ	الفتح/27	112
69	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِها....الخ	المجادلة/1–4	89
71	وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ.....الخ	المجادلة/3–4	90
72	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ...الخ	الممتحنة/10	140
73	وَإِن فَاتَكُمْ شَيْء مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ....الخ	الممتحنة/11	141
74	يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك....الخ	الممتحنة/12	18

75	إذا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ....الخ	المنافقون /1–4	31
76	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ....الخ	المنافقون /5	27
77	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ...الخ	المنافقون /5–8	32
78	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم...الخ	المنافقون /9–11	32–22

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الأحاديث النبوية الشريفة	الصفحة
.1	" أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله.....	108
.2	"أذكر خزاعيا ولا تهجه"	84
.3	"أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم"...	119
.4	"الآن نغزوهم ولا يغزونا"	49
.5	"إن لكل نبي حواريا".....	56
.6	"إنا لم نجئ لقتال.....	115
.7	"أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم.....	84
.8	"سلمان منا أهل البيت".	59
.9	"فأينما أدركتكم الصلاة.....	96
.10	"فضلنا الناس بثلاث"	94
.11	"لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة"...	111
.12	"لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه....	147
.13	"لكم النصرة في الدنيا والجنة في الآخرة"	44
.14	"ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا.....	59
.15	آيبون تائبون.....	101
.16	هل من رجل يذهب.....	34

المصادر والمراجع

1. أحكام القرآن،للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
2. أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
3. الأذكار النووية أو "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار" لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، المحقق: محيي الدين مستو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
4. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي(ت ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.
5. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض– عادل أحمد عبد الموجود،الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨.
6. الإصابة في تمييز الصحابة، أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.
7. الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، لأبي أسماء محمد بن طه، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – دار سبل السلام – الفيوم، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

8. الإكليل في استنباط التنزيل، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

9. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١٥.

10. إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم، لحسن بن محمد المشاط المالكي (ت ١٣٩٩هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الثانية – ١٤٢٦ هـ، عدد الصفحات: ٨٣٢.

11. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

12. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٤.

13. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد مرتضى الحسيني الملقب بمرتضى ،الزَّبيدى،المتوفى:1250هـ، تحقيق: جماعة من المحققين،الناشر: دار الهداية.

14. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)،المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

15. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ١١.

16. تفسير السمرقندى=بحر العلوم، هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث الفقيه السمرقندي المشهور ب: إمام الهدى، قال الكنوي (المتوفى :393هـ).

17. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

18. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، لوهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

19. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

20. تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

21. تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .

22. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر، عدد الأجزاء: ٢٤.

23. الجامع الصحيح "صحيح مسلم"، (طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة)، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا،عام النشر: ١٣٣٤ هـ)، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ).

24. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٦.

25. جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف – مصر،الطبعة: ١، ١٩٠٠ م.

26. جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، لأبي محمد على بن أحمد بن سعيدبن حزم الأندلسى القرطبى الظاهرى (المتوفى:456هـ)،تحقيق:إحسان عباس،الناشر:دار المعارف– مصر،الطبعة:1، 1900م.

27. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ "بَحْرَق" (ت ٩٣٠هـ)، الناشر: دار المنهاج – جدة، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول،الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

28. حلية الفقهاء، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ)،الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت،الطبعة: الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

29. حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لمؤلف: محمد حسين هيكل (ت ١٣٧٦هـ).

30. الدرر في اختصار المغازي والسير للحافظ يوسف بن عبد البر النمرى،تحقيق: الدكتور شوقى ضيف،الناشر:دار المعارف–القاهرة،الطبعة:الثانية،1403هـ.

31. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث،الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٧.

32. رحمة للعالمين، لمحمد سليمان المنصورفوري (ت ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.

33. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (ت ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى، عدد الصفحات: ٤٥٩.

34. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

35. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

36. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

37. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

38. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

39. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧.

40. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

41. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)،الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.

42. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م،عدد الأجزاء: ٢٥.

43. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ)،تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

44. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: ٣.

45. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الثامنة - 1427هـ.

46. السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م،عدد الأجزاء: ٢.

47. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير - دمشق،الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ.

48. السّيرة النّبويّة للإمام الحافظ أبي حاتم محمّد بن أحمد التميمي البستي المتوفى سنة 354 هـ، صحّحه وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء الناشر :الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الثالثة- 1417هـ.

49. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني لأحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

50. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، لأحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

51. صحيح البخاري، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني،ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة، عدد الأجزاء: ٩.

52. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

53. صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (ت ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

54. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٥.

55. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

56. الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)،المحقق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – جمهورية مصر العربية،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

57. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت ٧٣٤هـ)،تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.

58. الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٤.

59. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

60. فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

61. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحمد سَعيد رَمضان البوطيالناشر: دار الفكر– دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون – ١٤٢٦ هـ، عدد الصفحات: ٤٠٠.

62. فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

63. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الصفحات: ١٣٥٧.

64. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الطيب النجار (ت ١٤١١هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان: ص.

65. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

66. كنز العمال فى سنن الأفعال والأقوال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري الشهير المتقي الهندي المتوفى(975 هـ)، تحقيق:بكري حياني، صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الطبعة الخامسة،1401هـ.

67. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.

68. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

69. مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

70. المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين (ت ٧٦٧هـ)،المحقق: سامي مكي العاني، الناشر: دار البشير - عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

71. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، عدد الصفحات: ٣٣٦، عدد الأجزاء:١.

72. مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، لحافظ بن محمد عبد الله الحكمي، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: ١٤٠٦هـ.

73. مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، لإبراهيم بن إبراهيم قريب، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

74. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ.

75. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

76. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية– القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٢٥.

77. معجم المعالم الجغرافيَة في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (ت ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمةالطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

78. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

79. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)،الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

80. المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبي محمد، بدر الدين الحلبي (ت ٧٧٩هـ)،المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: دار الحديث – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

81. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ)،الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر.

82. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.

83. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

84. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة

العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

85. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت ١٣٤٥هـ)، الناشر: دار الفيحاء – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٢٥ هـ.

86. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ .

فهرس الموضوعات

	الموضوعات	الصفحة
.1	غزوة بنى المصطلق	20
.2	تاريخ الغزوة	24
.3	أحداث غزوة بنى المصطلق أو غزوة المريسع	25
.4	زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث	28
.5	نتائج الغزوة	30
.6	غزوة الأحزاب	33
.7	تاريخ الغزوة	50
.8	أسباب الغزوة	51
.9	أحداث الغزوة	53
.10	نقض اليهود من بنى قريظة العهد	55
.11	إرسال الجاسوس فى صفوف المشركين	56
.12	إهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببث الإشاعات فى صفوف الأعداء	56
.13	نتائج الغزوة	58
.14	غزوة بنى قريظة	60
.15	سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق	68
.16	تنفيذ العقوبة بحق أبى رافع	68
.17	دروس وعبر	69
.18	حادثة الإفك	72
.19	إنتشار الدعاية بالمدينة	73
.20	آثار فتنة الإفك	74
.21	نزول الوحى ببراءة عائشة رضى الله عنها	75
.22	أهم الآداب والأحكام التى تؤخذ من آيات الإفك	76
.23	زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش	78

.24	زواجها من زيد بن حارثة رضى الله عنه	78
.25	طلاق زيد بن حارثة بزينب رضى الله عنها	79
.26	زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش	79
.27	تسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بريحانة رضى الله عنها	82
.28	وفد مزينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم	84
.29	نزول فريضة الحجاب	87
.30	الظهار لغة واصطلاحا	89
.31	كفارة الظهار	91
.32	حكم الظهار	91
.33	اللعان لغةً واصطلاحاً	92
.34	سبب نزول الأية	92
.35	الأحكام بعد ثبوت اللعان	93
.36	نزول حكم التيمُّم	94
.37	فابأح الله التيمّم لخمس شرائط	96
.38	غزوة بنى لحيان	100
.39	خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ودعائه	101
.40	غزوة الغابة	103
.41	ليلة السرح	103
.42	تقسيم الفيء بين المسلمين	105
.43	سريةعبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل	106
.44	فى هذه السرية دروس وعبر	107
.45	غزوة الحديبية	108
.46	تاريخ الغزوة وأسبابه	112
.47	خروج المسلمين من المدينة	113
.48	وصول النبى صلى الله عليه وسلم إلى عسفان	114
.49	تجنّب النبى صلى الله عليه وسلم لقاء قريش	114

.50	السفارة بين رسول وقريش	115
.51	أوّلا:سفراء قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم	115
.52	ثانيا: صلي سفراء النبى الله عليه وسلم إلى قريش	117
.53	إمتحان الحب والوفاء	118
.54	بيعة الرضوان	118
.55	وهذه هى بيعة الرضوان التى أنزل الله فيها	119
.56	نتائج غزوة الحديبية	121
.57	دعوة الملوك والأمراء	124
.58	إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما	129
.59	سواله النجّاشى فى قتل عمرو بن أمية الضمرى ورده عليه	129
.60	إجتماع عمرو وخالد على الإسلام	130
.61	زواج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضى الله عنها	131
.62	نزول آية الفدية	134
.63	صلاة الخوف	136
.64	كيفية صلاة الخوف	137
.65	حرمت المسلمات وطلاق الكوافر	140
.66	غزوة خيبر	145
.67	عدد الجيش الإسلامي	145
.68	أسباب الغزوة	148
.69	قسمة الغنائم	149
.70	غزوة وادى القرى	151
.71	سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة	153
.72	سرية أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى فزارة	154
.73	سرية بشير بن سعد الأنصاري رضي الله تعالى عنه	155
.74	قدوم جعفر رضى الله عنه ومن معه من الحبشة	157
.75	زواج النبى صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب	159

.76	عمرة القضاء	161
.77	زواج النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها	168
.78	تحريم لحوم الحمر الاهلية	171
.79	واختلف في تحريمها على أربعة أقوال	173
.80	تحريم نكاح المتعة	174
.81	الخاتمة	176
.82	فهرس الآيات القرآنية	178
.83	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	182
.84	المصادر والمراجع	183